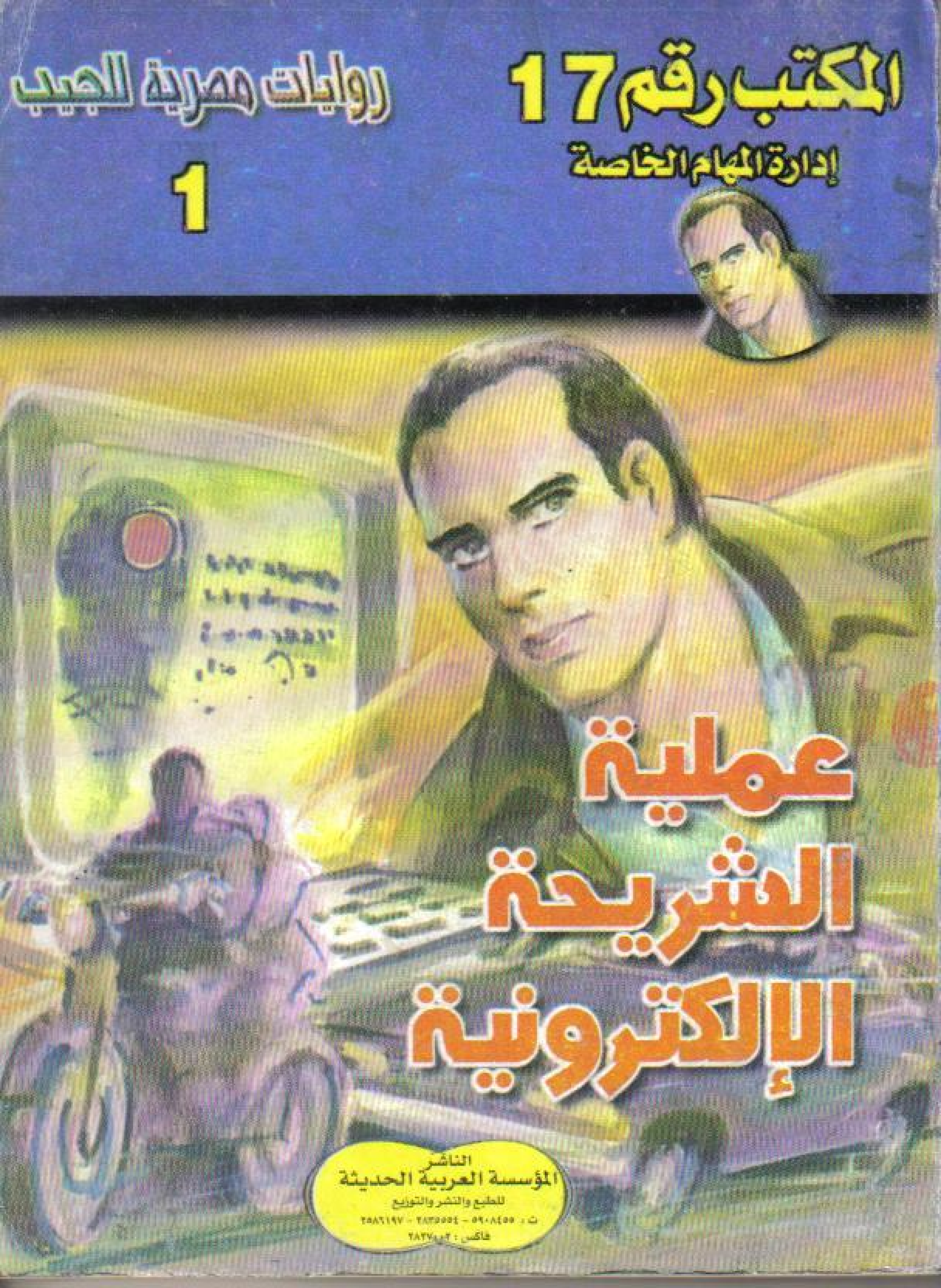

المكتب رقم 17
إدارة المهام الخاصة
روايات مصرية للجيب
1
عملية الشريحة الإلكترونية
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧



محمد سليمان عبد المالك

المكتب رقم 17

إدارة المهام الخاصة

★★★★

سلسلة روايات عصرية للشباب حافلة بالمغامرة والإثارة والتشويق



العدد القادم : عملية العالم الرابع

عملية الشريحة الإلكترونية

لم تعد القرصنة فى هذا العصر إرهابًا مسلحا . وإنما اختراقًا لأنظمة المعلومات السرية بوسائل لاحصر لها ..

لقد تم اختراق شبكة المعلومات السرية الخاصة بـ (الوحدة 8200) بـ (جنيف) .

وكان على (عمر زهران) - فى أولى المهام المسندة إليه - أن يأتى بالشريحة الإلكترونية الدقيقة من (باريس) ...!

كيف ؟ لن أستطيع أن أخبرك هنا بالطبع ...!



الثمن فى مصر ٢٠٠

ومايعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

مقدمة

قليلـون هـم الذيـن يعيشـون تلـك الحيـاة المفعمـة بالحركة والإثارة ، المحفوفة بالمخاطر والأشواك ، من شرك إلى مصيدة ، ومن موت إلى موت ..

قليلون هم الذين يهوون الحياة في قلب الجحيم ، حيث الهلاك هو اسم اللعبة ، وحيث الدهاء هو الطريقة الوحيدة لكى تلعبها ، فإما النصر ، وإما القتال حتى النفس الأخير ..

قليلون هم الذين حملوا قلوبهم الفتية على أكفهم ، وألقوا بأنفسهم في دوائر النهاية دون لحظة تردد واحدة ..

قليلون هم ، ربما تبلغ ندرتهم حد أن يمضى بنا قطار العمر دون أن نشهد أحدهم ولو بالصدفة ، لكنهم دومًا موجودون من حولنا ، يبنون مجد أوطاننا بدمائهم وأرواحهم ، ويحرسون أيامنا وأحلامنا من أنياب وحوش الغاب الضارية ، ومن هؤلاء الذين لا هَم لهم إلا أن يطلوا جدران غدنا بالسواد القاتم ..

و(عمر زهران) هو أحد هؤلاء القليلين ..

إنـه بطـل آخـر ممـن تزخـر بإنجـازاتهم ملفـات الوطن ، وهو من سيرافقنا عبر روايات هذه السلسـة الجديدة بإذن الله ..

من هو ؟ كم عمره ؟ أين ومتى وكيف ولمـاذا .. إلـخ ، كلهـا أسئلة ستجيب عن نفسـها بنفسـها خـلال الصفحـات القادمـة ، كـل مـا يهمنـا معرفتـه هنـا أنـه إنسان ، مثلى ومثلك ومثلنا جميعًا ، له من العيوب قدر ماله من المزايا ، لكنه فـى النهايـة يحمل قلبًا عاشقًا للوطـن ، والأرض ، والنـاس .. يهمنـا كذلـك أن نشـير هنا إلى تلك الهيئة الأمنيـة الحديثـة التـى نشـأت على أرض (مصر) بقدر رئاسى ، وهى هيئة ذات سـلطات غير محدودة ، مهمتها التعامل مع القضايا ذات الطـابع الخـاص ، المحاطـة بـأعلى قـدر مـن السرية ، والتـى تتطلب كفاءات رفيعة المستوى للتعامل معها ..

هيئة تعرف باسم (المكتب ١٧) ..

محمد سليمان

(١)

انفتحت البوابة المعدنية الفضية أوتوماتيكيًا ، ليظهر مـن خلفهـا ذلـك الشـاب الممشـوق القـوام ، المفتـول العضلات ، الحليق الرأس ، الذى يرتدى بنطالاً من الجينز الأسود الضيق ، و (تى ـ شـيرت) ذا لـون أبيـض ناصع ، وعلى الناحية اليمنى من صدره تدلت بطاقـة هوية تحمل فى وضوح اسم وشعار (المكتب ١٧) ..

أسـرع الشـاب يخطـو بحذائـه الأسـود الضخـم إلـى منتصف القاعة الفسيحة ، التـى تـراءت لناظريـه فـور انفتاح البوابة ، حتى توقف بجوار المنصة المرتفعة التـى تحتل منتصف القاعة الخالية تمامًا إلا منهـا ، مرسـلاً بصره نحو نهاية القاعة حيث الفاصل الزجاجى العريـض الذى يفصلها عن حجـرة تحكم صغيرة ، يجلـس فيهـا رجلان ، أحدهمـا وقـور المظهر مهيب الهيئـة أشـيب الشعر ، نظراته حادة كأنها لصقر عجوز ، والآخـر ذو مظهر بسيط ، منهمك فى تشغيل جهاز حديـث أمامـه ، وأصابعه تنتقل فوق الأزرار دون توقف ..

ولم تمض لحظات ، حتى دوى صوت نسائى مسجل عبر مكبرات الصوت :

ـ النقيب (عمر زهران) ، اختبار المستوى القتالى السادس ..

أدى الشاب التحية العسكرية ، ثم عاد إلى وقفته الثابتة يحدق بعينيه اللامعتين فى الكهل الجالس داخل غرفة التحكم ، حتى دوى الصوت من جديد :

ـ التقط سلاحك ..

انفتح سطح المنصة ليظهر داخلها تجويف مبطن بقطيفة زرقاء ، استقر داخله مسدس فضى كبير يبدو غريب الشكل إلى حد بعيد ، أسرع (عمر) بالتقاطه قابضًا عليه فى قوة حازمة ، بينما انغلق السطح مرة أخرى ، وأخذت المنصة نفسها تغوص فى أرضية القاعة مصدرة أزيزًا إليكترونيًا خافتًا ، حتى ابتعلتها الأرضية تمامًا ..

وعاد الصوت النسائى المسجل يقول :

استعد ، ١٠ ثوان ويبدأ عرض المحاكاة ..

وعلى الفور ، انطفأ الضوء الصادر من داخل حجرة التحكم الصغيرة ، فى نفس اللحظة التى ابتسم فيها (عمر) ساخرًا وهو يبتسم لنفسه بنبرة خفيضة :

ـ أستعد ؟! ومن ذا الذى يطلب منك الاستعداد فى معركة حقيقية ؟!

ـ ١٠ ، ٩ ، ٨ ، ٧ ..

بدأت الإضاءة الصادرة من الكشافات القوية المثبتة أعلى جدران القاعة المرتفعة تخفت تدريجيًا ، واستمر الصوت النسائى المسجل فى العد التنازلى ..

ـ ٦ ، ٥ ، ٤ ، ٣ ..

تحفزت عضلات (عمر) وهو يرفع مسدسه بجوار وجهه مضيقًا عينيه فى تركيز شديد ، واستمرت شدة الضوء فى الانخفاض أكثر فأكثر ..

ـ ٢ ، ١ ، صفر ..

ساد الظلام الدامس ، والسكون التام ، وأرهف (عمر) سمعه إذ لم تستطع عيناه رؤية أى شىء سوى اللون الأسود فى كل ما حوله ..

ثم دوى صوت الطلقات من ناحية اليمين ، لتصنع خطوطًا ضوئية حمراء مجالات لانهمارها فى قلب الظلام ، وفى سرعة مذهلة تتأبى على الوصف قفز (عمر) فى رشاقة فريدة بعيدًا عنها ، فطاشت فى الفراغ الأسود ، وبنفس السرعة وجه (عمر) مسدسه نحو الصورة الثلاثية الأبعاد التى تمثل الرجل الذى أطلق الرصاصات من اليمين ، وبضغطة واحدة على زناد مسدسه أسقطه (عمر) برصاصة وهمية مثلها خط ضوئى أحمر انطلق فى سرعة أكبر ..

وتكرر الأمر ، فظهر رجل آخر ، ثم آخر ، ثم آخر ، من جميع الاتجاهات ، من الأمام والخلف واليمين واليسار ، لكنهم سقطوا جميعًا تحت تأثير رصاصات (عمر) الوهمية الأسرع والأكثر فعالية ..

ثم تطور الأمر ، ليظهر اثنان فى نفس الوقت ، وقد زادت سرعة تحركاتهما ورصاصاتهما ، لكنهما لم يصمدا طويلاً أمام (عمر) الذى بذل مزيدًا من المجهود للتعامل معهما ..

ثم ظهر ثلاثة ، برصاصات وهمية لا تقل كفاءتها

وسرعاتها عن تلك المنطلقة من مسدس (عمر) ، فاضطر هذا الأخير للتعامل مع الموقف لا بمسدسه فقط كالمرات السابقة ، وإنما بمهاراته البدنية القتالية أيضًا ، فركل الأول فى وجهه ، وعرقل الثانى بمناورة مفاجئة ، وانطلقت رصاصاته نحو الثالث فسقط ، ثم أنهى الموقف برصاصتين آخريين نحو الأول والثانى ، ووقف يلهث شاعرًا بالظفر يغمره ، حتى ...

شعر فى اللحظة التالية بخصم جديد يبرز من خلفه ، وكاد يلتفت فى سرعته المعهودة ، ولكن صفارة إلكترونية رباعية النغمة انطلقت فجأة ..

صفارة يعرف معناها جيدًا ..

لقد أصابته رصاصة وهمية فى ظهره من مسدس خصم مباغت ..

ـ تبًا !

لفظها (عمر) فى غيظ حانق غاضب ، وهو يضرب قبضتيه ببعضهما ، مدمدمًا بكلمات غير مفهومة ، بينما عادت أضواء القاعة للتوهج من جديد ، وأخذ الصوت النسائى المسجل يدوى عبر مكبرات الصوت :

ـ انتهى اختبار المستوى القتالى السادس ـ التقييم الأدائى ٤٣ ٪

ـ تبًّا .. تبًّا .. تبًّا !

عادت حجرة التحكم فى نهاية القاعة تضىء من جديد ، وأخذت المنصة فى الارتفاع تدريجيًّا بأزيزها الإلكترونى إياه ، فوضع (عمر) المسدس فوق سطحها المغلق قبل أن تتم رحلة صعودها ، محاولاً كبح جماح ثورة الغضب البركانية التى اندلعت فى أعماقه ..

وبمجرد أن أرسل بصره نحو غرفة التحكم ، لمح الكهل الأشيب يشير له من خلف الفاصل الزجاجى بمعنى أن يلقاه فى الخارج ، فاتجه فى خطوات متثاقلة ـ كأنه يجر قدميه جرًّا ـ نحو بوابة القاعة التى انفتحت أوتوماتيكيًّا من جديد ، وعبرها وهو يزفر فى حرارة ، زفرة جاشت بما يعتمل فى صدره من ضيق مكتوم ..

وجد (عمر) الكهل فى مواجهته مباشرة فور خروجه ، يربت على كتفه فى حنان أبوى خالص ، لم يتناسب مع لهجة حديثه ، وهو يقول بنبرة عميقة بدت وكأنها صادرة من بئر سحيق القاع :

ـ لقد أبليت بلاءً حسنًا أيها النقيب ..

وأضاف عندما وجد (عمر) صامتًا كأنه لائذ فى حمى هزيمته :

ـ مجرد بلوغك المستوى القتالى السادس وأنت بعد فى هذه السن يعد إنجازًا غير مسبوق ..

عض (عمر) شفتيه ، ثم قال فى أسف :

ـ ولكن ، سيد (منصور) ...

ـ ستجتازه فى المرة القادمة ، نقيب (عمر) أنا واثق من هذا ..

اعتصر (عمر) قبضته مغمغمًا :

ـ كم أمقت هذه الألعاب التقنية اللعينة !

وأردف كأنه يدافع عن نفسه فى تهمة لم يوجهها إليه أحد :

ـ صدقنى ، سيد (منصور) ، إنها ليست إلا ضربًا من ضروب الهزل ، فى معركة حقيقية يختلف الأمر تمامًا !

ربت (منصور) فوق كتفه مرة أخرى وهو يقول :

ـ أعلم ما تريد قوله ، أيها النقيب ، لكنها ضريبة تقدمنا العلمى والتقنى فى عصر جديد لا يعترف إلا بالأرقام والمعادلات ، وهى ضريبة لا يدفعها سوانا ، نحن المقاتلين ..

ـ فى حرب حقيقية لا يكون هناك مجال أبدًا لترف النسب المئوية هذا ، إما أن تَقْتُل أو تُقْتَل ، ولا سبيل لخيار ثالث ..

لاح شبح ابتسامة فوق شفتى (منصور) ، وعقب قائلاً وهو يشد بيده على كتف (عمر) :

ـ أكثر ما يعجبنى فيك أيها النقيب هو أنك تذكرنى بنفسى فى عهد الأيام الخوالى ..

وصمت هنيهة تابع بعدها فى ثقة :

ـ ومازلت فى تقديرى أنجب تلاميذى على الإطلاق فى هذا المكتب ..

خفض (عمر) بصره نحو الأرض قائلاً فى خجل :

ـ أشكرك ، سيد (منصور) ..

ثم رفع عينيه اللامعتين ببريق الحماس والتحدى والصلابة ليقول فى إصرار :

ـ وثق أننى لن أخيب ظنك فى المرة القادمة ، عند خوضى للمستوى السادس مرة أخرى ..

افتر ثغر (منصور) عن ابتسامة صريحة ، وهو يقول هازًا رأسه علامة النفى :

ـ لا أظنك ستحتاج لهذا أيها النقيب ..

عقد (عمر) حاجبيه سائلاً :

ـ ماذا تعنى ، سيد (منصور) ؟!

قال (منصور) شادًا على كتفيه أكثر :

ـ أعنى أنك ستجتاز الاختبار هذه المرة على أرض الواقع ، فى معركة حقيقية ليس فيها صور ثلاثيةَ الأبعاد ، ولا رصاصات حمراء وهمية ، ولا معادلات أو نسب جزافية ، أيها النقيب ..

سأل (عمر) وعيناه تشعان فى لهفة :

ـ أهى مهمة جديدة ؟!

وقبل أن يجيبه (منصور) ، علت رنة مميزة من جهاز صغير مثبت فى حزام (عمر) ، مصحوبة بضوء أخضر يضىء وينطفئ فى تزامن مع النغمة التى لم

تكن تعنى سوى أن (عمر) مطلوب على وجه السرعة ودون لحظة تأخير فى حجرة رئيس (المكتب ١٧) ..

أرهف (عمر) سمعه لتتابع النغمة ثم قال :

ـ هذه نغمة الاستدعاء العاجل !

ـ لقد رشحتك لمهمة غاية فى الخطورة والدقة ، وتحملت مسئولية هذا الترشيح بصورة كاملة أمام رئيس المكتب ، اللواء (حفنى) ..

وحدق فى عينى تلميذه متابعًا :

ـ هيا أيها النقيب ، اذهب وأثبت لهم أننى لم أخطئ الاختيار ، وهم كذلك !

أدى (عمر) التحية العسكرية هاتفًا :

ـ سأكون عند حسن ظنك بإذن الله يا سيدى ..

وانطلق مهرولاً حتى غاب فى نهاية الممر الطويل ، و (منصور) يتابعه بعينيه ، والصدى يتردد عاليًا فى وديان أعماقه :

ـ هيا يا (عمر) ، لتثبت للجميع أن العميد (منصور حرب) قد كسب رهان عمره أخيرًا ..

★ ★ ★

(٢)

شعر (عمر) أن عينى اللواء (عفت حفنى) تكادان تخترقان وقفته الثابتة أمام مكتبه البيضاوى الفخم الكبير ، لكن شعوره هذا خف نوعًا بعد أن خلع الأخير عويناته الطبية الدقيقة ليضعها على سطح المكتب أمامه ، واستدار نحو شاشة الحاسب الآلى إلى يمينه مطالعًا البيانات المتراصة إلى جوار صورة (عمر) ..

ـ إنك تبدو لى حديث السن إلى حد لم أشهده من قبل يا (عمر) ..

اعترى (عمر) مزيج من مشاعر الخوف والفخر ، لكنه آثر تنحية كل مشاعره جانبًا والتزامه الصمت حتى تبين الأمور نفسها بنفسها ..

أما اللواء (حفنى) فقد استمر فى التحديق فى الشاشة ، وهو يقرأ ما عليها بصوت مرتفع كأنه يريد إقناع نفسه بما يجرى :

ـ (عمر فهمى زهران) ..

٢٧ عامًا فقط !

أنهى دراسته بالكلية الحربية بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف ..

اجتاز اختبارات المحاكاة القتالية التفاعلية حتى المستوى الخامس بمتوسط ٩٦٪ ..

إجادة تامة للإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية ، بالإضافة للعربية والعبرية ، مع متابعة دراسة الروسية ..

مدى الإلمام بتقنيات الحاسبات الآلية وشبكات المعلومات يبلغ حد المستوى الثالث ..

تقارير المدربين والمعلمين كلها فى حيز التفوق ..

وظل لوهلة يحدق فى صورة (عمر) على الشاشة ، ثم نقل عينيه واضعًا عويناته أمامهما إلى (عمر) الحقيقى الماثل أمامه كأنه يقارن بين الصورتين ، ثم تابع :

ـ بل إن ملفاتك العملية مبشرة أيضًا برغم أنك لم تتول مسئولية مهمة ما بصورة مباشرة ، بل ظلت

أدوارك فيها فى حيز (الرجل الثانى) أو (الخطة البديلة) ..

وتنهد صامتًا للحظة كأنه يفكر فى اتخاذ قرار خطير ، قبل أن يحسم أمره فى النهاية ، قائلاً لـ(عمر) وهو يشير له بيده علامة دعوة الجلوس فوق مقعد قريب :

ـ ليكن ، اجلس أيها النقيب وتول أولى مهماتك بصورة مباشرة ..

ـ أمرك ، سيدى ..

قالها (عمر) مؤديًا التحية العسكرية ، ثم اتجه من فوره ليجلس على المقعد المشار إليه ، بينما ضغط اللواء (حفنى) أزرار لوحة مفاتيح حاسبه الآلى ، لتتغير بيانات (عمر) بموضوعات أخرى مختلفة ، وهو يتابع :

ـ بالمناسبة ، لقد شاهدت تدريبك الأخير على المستوى القتالى السادس ، كنت جيدًا لولا أنك لم تنتبه لأكثر النقاط أهمية ..

دقت الطبول فى صدر (عمر) الذى لم يتوقع مطلقًا

أن يهتم رئيس (المكتب ١٧) بنفسه بأمر تدريباته واختباراته ، لكن هذا لم ينتقص من انتباهه الشديد للواء (حفنى) الذى تابع مشيرًا بسبابته فى الهواء :

ـ إياك وأن تدع لحظةَ النشوة بفوز لحظى تأسرك لدرجة أن تنسى أن الأمور لم تنته بعد ، وأنه ربما كان هناك من يتربص بك من الخلف مستغلاً انشغالك بما هو أمامك من خطر . لو لم تتعلم هذا مما حدث اليوم ، فلن تستطيع أبدًا اجتياز المستوى القتالى السادس ، سواء فى نظام محاكاة تفاعلى ، أو فى معركة حقيقية !

لا إراديًا هز (عمر) رأسه علامة الموافقة مأخوذًا بما قال اللواء ، لكنه دارى كل مشاعره مرة أخرى تحت قناع جامد من الجدية كسا ملامحه ..

وبمجرد انتهاء اللواءِ (حفنى) من ضغط الأزرار ، استدار نحو (عمر) قائلاً :

ـ دعنا نتحدث فى العمل ، فأمامك مهمة شاقة حقًّا ..

ـ كلى آذان مصغية يا سيدى ..

ـ إنها معركة أخرى مع (الوحدة ٨٢٠٠) ..

وأضاف اللواء وهو يهز كتفيه :

ـ على ملعبهم هذه المرة ، فى قلب (باريس) ..

شأنه شأن أصغر ضابط ناشئ فى (المكتب ١٧) ، كان (عمر) يعرف قطعًا كل شىء عن (الوحدة ٨٢٠٠) هذه ، بل إنه قد خاض العديد من المهام ضد رجالها ونسائها ولو بالصورة غير المباشرة التى سمحت له حداثة سنه بها ..

إنها إحدى الوحدات الخاصة لجهاز الاستخبارات الإسرائيلى (الموساد) ، وقد اكتسبت أهميتها الخاصة وذاع صيتها إلى حد كبير فى ظل التطور التقنى المهول وثورة المعلومات التى اندلعت كالنار فى الهشيم مع مطلع الألفية الثالثة ، ولأنها الوحدة الخاصة بالاتصالات والمعلومات داخل هيكل (الموساد) ، فقد توارى الاسم الأخير وأضحى نادر الاستعمال ، ولا يذكر جهاز أمن إسرائيلى إلا مقرونًا بـ (الوحدة ٨٢٠٠) ، تمامًا كـ (المكتب ١٧) الذى نشأ حديثًا فى (مصر)(★) ..

(★) محض خيال ، أو هو خيال محض !

ومن خلال (الوحدة ٨٢٠٠) ، تمارس الاستخبارات الإسرائيلية ألعابها المشبوهة وعملياتها الملطخة بالدم والفساد فى جميع أنحاء العالم ، عبر كتيبة من الرجال والجواسيس يتمركزون فى القارتين الأمريكية والأوروبية ، وبالذات فى (واشنطن) و (باريس) و (جنيف) و (أمستردام) ، لهذا اعتبر اللواء (حفنى) (باريس) ملعبًا من ملاعبهم ، يعبثون فيها كما يحبون ..

كل هذا دار فى رأس (عمر) فى أقل من الثانية ، بعد أن أثار ذكر (الوحدة ٨٢٠٠) اهتمامه وحفز ملكاته لأقصى حد ، وخيل له أنه قد تحول إلى أذنين كبيرتين فى انتظار ما سيجود به لسان اللواء من كلمات ..

ـ لقد استطاع أحد المخترقين المحترفين ، الذين يتكسبون من عبقريتهم التقنية أن يخترق شبكة المعلومات الداخلية السرية الخاصة بـ (الوحدة ٨٢٠٠) ، لدى البعثة الدائمة لـ (إسرائيل) فى (جنيف) ، وأن يظل حرًا طليقًا فيها لمدة نصف ساعة كاملة ، ٢٨ دقيقة و ٤٠ ثانية بالضبط لو شئنا الدقة ..

اتسعت عينا (عمر) فى انبهار ، وهو يقول :

ـ هذا يعنى ...

أكمل عنه اللواء (حفنى) مستطردًا :

ـ يعنى ببساطة أن المخترق قد استطاع تحميل ما لا يقل عن ٣٠٠ جيجا بايت من المعلومات الخاصة بهم ، ولعملياتهم ، ومراسلاتهم ، ووثائقهم المصنفة تحت بند (السرية الفائقة) ، وربما ما هو أكثر ، قبل أن يكتشفوا وجوده فعليًا على شبكتهم السرية ، ويسدوا الثغرة الشفرية التى استطاع النفاذ إليهم من خلالها ..

ـ إنها كارثة محققة بالنسبة لهم يا سيدى ..

ـ ولكنها على العكس تمامًا بالنسبة لنا ، فلو استطعنا الحصول على نصف، ، ولنقل ربع هذا الكم المهول من المعلومات الخاصة بهم ، والتى تكفى لملء عشر مجلدات ضخمة من القطع الكبير ، فمعنى هذا أننا نكسب نقطة لصالحنا فى حرب المعلومات الدائرة بيننا منذ عبرنا بالفعل إلى القرن الحادى والعشرين ..

ـ وهى نقطة مهولة حقًا يا سيدى ..

ـ إن المعلومات معروضة للبيع بالفعل أيها النقيب ..

لم يفهم (عمر) من الجملة أكثر مما حملت من معان ، لكنه ربط فى سرعة بين أمرين ، ثم سأل فى لهجة استنتاج :

ـ فى (باريس) ، يا سيدى ؟!

لاحت بسمة لم تخل من إعجاب على شفتى اللواء ، اختفت بسرعة وهو يقول :

ـ من الواضح أن (باريس) هى مصدر الاختراق بالفعل ، فعلى شبكة الإنترنت الدولية المفتوحة ، وعلى الموقع الخاص بسوق تجارية حرة ، هناك عرض محدد يحمل توقيعًا مبهمًا بلقب (القرصان الأعور) ، وهو عرض ببيع الشريحة الإلكترونية الدقيقة التى تحوى كل ما تم تحميله من موقع الوحدة (٨٢٠٠) بـ (جنيف) ، بسعر غير قابل للتفاوض ، عشرة ملايين يورو أوروبى ..

ند عن (عمر) صفير مبتور وشى بذهوله لضخامة المبلغ ، لكنه سرعان ما استعاد هدوءه الجاد وهو يسأل اللواء بجملة خبرية :

ـ ولكن كل هذا لا يشير إلى (باريس) يا سيدى ..

ـ هذا صحيح ، خاصة وأن المخترق قد وضع عنوان بريده الإلكترونى الخاص بتلقى الغموض على موقع مزود بريد إلكترونى مجانى شهير ، لذا لم يكن أمامنا سوى القيام بعملية اختراق عكسية لهذا الموقع ، فى وقت يكون المخترق فيه فى حالة تفحص أو قراءة لحصيلة بريده ، حتى يتمكن خبراؤنا من تتبع مسارات شبكية معينة لتحديد موقعه بدقة ..

صمت لوهلة يلتقط فيها أنفاسه ، ثم تابع :

ـ ولكن من الواضح أن (القرصان الأعور) هذا محترف ، فتتبع المسارات لتحديد رقم الـ (IP) (★) الخاص بالحاسب الآلى الذى يعمل من خلاله يتطلب منا ٣٠ ثانية على الأقل ، وهو لا يدخل على موقعه الخاص بالبريد الإلكترونى المجانى لأكثر من ٢٠ ثانية ، يحمّل خلالها ما تيسر من خطابات إلكترونية ، ثم يقرؤها على مهل بعيدًا عن الشبكة ، وهذه الثوانى العشرون لا تكفى حتى لتحديد القارة التى يسكنها ..

(★) رقم الـ (IP) : (بروتوكول الإنترنت ـ INTERNET ADRESS PROTOCOL) وهو عبارة عن أرقام مفصولة عن بعضها بنقط تعتبر عنوانًا لأى مضيف HOST وهو أى حاسب آلى موصل بالإنترنت .

صمت مرة أخرى ومد يده نحو كوب ماء قريب ، رشف منه القليل ثم عاد يستأنف مستطردًا :

ـ لكن الموقع ظل تحت رقابة خبرائنا المحترفين ، حتى وقع السيد (قرصان) المزعوم هذا فى السادسة من صباح اليوم فى خطأ لم يكن فى حسبان أحد ، لقد ظل داخل موقع بريده المجانى لأكثر من دقيقتين ، استطعنا خلالها تحديد موقعه بدقة متناهية بما لا يدع مجالاً لذرة شك فى أعماقنا ، بل واستطعنا الحصول على معلومات تفصيلية عن حياته كلها مقارنة بأن رقم الـ (IP) الخاص به كان لحاسب آلى نقال ..

عقد (عمر) حاجبيه متسائلاً :

ـ ماذا تعنى يا سيدى ؟!

دق اللواء (حفنى) أزرار لوحة مفاتيحه وهو يجيب فى سرعة مشيرًا نحو الشاشة :

ـ أعنى ببساطة أن (بول رينيه) هذا ، الفرنسى الجنسية ، البلجيكى الأصل ، الذى يعمل مهندس حاسبات آلية فى كبرى شركات التقنيات الفرنسية ، ربما يكون أو لا يكون هو ضالتنا المنشودة ..

كانت الشاشة تعرض صورة ثلاثية الأبعاد تدور حول مركزها لرجل أشقر ذى ملامح وسمات أوروبية ارتسمت بوضوح فوق وجهه الطويل ذى الذقن المدببة ، وقد أعطته عويناته الطبية غير ذات الإطارات حول العدستين قدرًا لا بأس به من الوقار والملاحة .

حدق (عمر) فى الصورة والبيانات المتراصة إلى جوارها ، بينما واصل اللواء (حفنى) حديثه قائلاً :

ـ ربما كان الأمر لا يعدو أن يكون تمويهًا أو تضليلاً لنا ، وربما تمت سرقة الحاسب الآلى النقال الخاص بالمهندس (رينيه) هذا ، واستغله قرصاننا الأعور المزعوم لاختراق نظام المعلومات السرى الخاص بـ (الوحدة ٨٢٠٠) ، لكنها على أية حال ما زالت محض احتمالات جزافية ، لا يمكننا أن ننسى من بينها احتمال أن يكون المهندس (بول رينيه) هو نفسه قرصان الشبكة الأعور الذى اخترق شبكة (الوحدة ٨٢٠٠) السرية ..

بلغ الاهتمام بـ (عمر) مبلغه ، فسأل عاقدًا حاجبيه :

ـ وماذا عنهم يا سيدى ؟!

ـ تقصد (الوحدة ٨٢٠٠) ؟؟ إنهم لم يقفوا مكتوفى

الأيدى بالقطع ، وبغض النظر عن الوسائل التى استخدموها فيبدو أنهم قد توصلوا لنفس النتائج التى أسفر عنها بحثنا ، وقد استطعنا اختراق الرسالة الشفرة التى أرسلوها إلى (القرصان الأعور) على موقع بريده الإلكترونى المجانى يوافقون فيها على المدفع ، لكنهم لم يكتفوا بهذا ، وبدءوا فى التحرك الفعلى على صعيد آخر ، فقد وصل إلى مطار (شارل ديجول) منذ ساعتين تقريبًا واحد من أخطر رجالهم وأقساهم قلبًا ، من الواضح أنه مكلف بالحصول على الشريحة الإلكترونية الحاوية للمعلومات المسروقة ، بأى ثمن وأية وسيلة ..

وقبل أن ينهى حديثه ، كان اللواء (حفنى) قد ضغط بضعة أزرار أمامه فتغيرت صورة المهندس (رينيه) بأخرى ثلاثية الأبعاد متحركة فى دوران حول مركزها الثابت أيضًا ، وكانت لرجل قاسى الملامح ، حاد العينين ، مدبب الأنف ، رفيع الشفتين ، طويل الشعر ناعمه وأسوده ، تعلقت عينا (عمر) بصورته والبيانات الكثيرة التى تراصت جوارها ، وغمغم وحاجباه يزدادان انعقادًا :

ـ (عزرا أهارون) ..

ـ جوكر (الوحدة ٨٢٠٠) ، الذى لم يخسر معركة واحدة فى حياته كلها ، وتحركهم على هذا النحو يعد دليلاً بارزًا على خطورة الموقف بالنسبة لهم ..

ـ إننى أحفظ ملفه عن ظهر قلب يا سيدى ..

ـ هذه نقطة فى صالحك بالتأكيد أيها النقيب ..

وتراجع بظهره غائصًا فى مقعده الجلدى الأسود الوثير ، متابعًا :

ـ خطتك الأساسية هى البساطة نفسها ، لقد أرسلنا عبر البريد الإلكترونى لموقع (القرصان الأعور) نوافق فيها على الدفع الفورى العاجل للمبلغ المذكور ، باسم رجل أعمال مصرى وعبر رقم الـ (IP) الخاص به ، هذا الرجل ستقوم أنت بتقمص شخصيته فى (باريس) ، فإذا هاتفك (القرصان الأعور) على رقم الهاتف الخلوى المدرج بالرسالة ، والذى ستحمله معك ، فسيوفر عليك وعلينا الكثير من المجهودات والخطط الفرعية الأخرى للاستدلال عليه ..

وتنهد فى حرارة قبل أن يضيف :

ـ إنها مهمة شاقة حقًا أيها النقيب ، فى عاصمة الجن والملائكة ، وفى مواجهة (عزرا أهارون) ، والمجهول ..

قال (عمر) فى حماسٍ ساخر :

ـ بالنسبة لـ (أهارون) فلا داعى للقلق يا سيدى ، إنهم لا يملون الهزيمة أمامنا أبدًا ..

ـ إنه لم يخسر معركة واحدة فى حياته ، لا تنس هذا ..

هز (عمر) كتفيه وقال وسخريته تتضاعف :

ـ وأنا كذلك يا سيدى ، إنها مهمتى الأولى بصفة رسمية كاملة كما تعلم !

غالب اللواء (حفنى) ابتسامته قبل أن يقول :

ـ حسن ، لا وقت لدينا الآن لهذا الهراء . لقد تم حجز مقعد لك على الطائرة المغادرة إلى (باريس) بعد ساعة واحدة ، أظن أنها تكفيك للاستعداد ..

ـ تكفى وتزيد يا سيدى ..

وأدى التحية العسكرية قبل أن يضيف :

ـ وسأؤدى واجبى على أكمل وجه بإذن الله ..

غمغم اللواء (حفنى) شاخصًا ببصره نحو سقف الغرفة ، متأملاً فى اللامكان :

ـ نعم أيها النقيب ، يجب أن تفعل هذا ، فنحن فى سباق حقيقى مع الزمن ، ومن يدرى ما الذى فعله (أهارون) ورجاله الآن فى قلب (باريس) ؟! وإلى أى مدى نجحوا فى مسعاهم ؟! من يدرى ؟!

* * *

(٣)

ظهر الرجال الأربعة ، المتدثرون فى معاطفهم الثقيلة الداكنة ، عند نهاية الدهليز الطويل المضاء بالنيون الأبيض ، والذى تطل عليه أبواب كثيرة متراصة على الجانبين ، متجهين فى خطوات سريعة تقل عن الهرولة وتزيد على المشى العادى نحو هدف يعرفونه جيدًا ..

وأمام أحد الأبواب المغلقة التى تحمل رقم (٣٧) توقفوا ، وأشار أحدهم نحو الباب بمعنى (هذا هو غايتنا) ، وكان هذا الشخص الحاد القسمات المدبب الأنف الطويل القامة ، والشعر يبدو قائدهم بما يملكه من صرامة وحزم دون حتى أن ينطق ..

وبمجرد الإشارة ، جثا أنحفهم على ركبتيه فاتحًا الحقيبة الجلدية السوداء التى يحملها ، وأخذت أصابعه تعمل فى مهارة ودقة موصلاً بعض الأجهزة الإلكترونية الدقيقة والمعقدة برتاج الباب الحديث ، الذى يتم فتحه وإغلاقه بوساطة بطاقة خاصة مشفرة ، وهو النوع الذى

شاع استخدامه فى القرن الحادى والعشرين بدلاً من أقفال الأبواب العادية القديمة ، هذا بينما استل الاثنان الآخران ، المفتولا العضلات إلى حد مبالغ فيه ، حتى إنهما بدوا أشبه بثورين ضخمين ، مسدسيهما وافترقا يحرسان اتجاهى الدهليز ويراقبان أى قادم من شأنه تعطيل مهمة فتح الباب ، أما القائد فقد عقد ساعديه أمام صدره وأخذت مقدمة حذائه تضرب الأرض فى إيقاع منتظم ، مراقبًا ما يفعله النحيف ..

كان هذا الأخير قد أخرج من حقيبته جهازًا صغيرًا يقارب حجمه حجم علبة تبغ ، لها شاشة علوية وبعض أزرار متراصة مما جعلها أشبه بآلة حاسبة عادية ، أسرع بتوصيله جانبيًا بالرتاج الحديث عن طريق سلك توصيل معزول ، عندما نظر القائد فى ساعته فى توتر ، ثم مال نحوه هامسًا :

ـ أمامك نصف دقيقة أخرى فحسب ، عزيزى (عاموس) ..

ـ أقل ، أدون (أهارون) . أستطيع أن أعدك بهذا ..

قالها (عاموس) ثم عاد ينهمك فى عمله الذى

يعشقه حتى الثمالة ، بينما زفر (عزرا أهارون) رجل (الوحدة ٨٢٠٠) الأخطر وهو يعقد حاجبيه فى حدة ، ويحاول إزجاء الوقت بعينيه اللتين تتفحصان المكان ، أو بيده التى تتحسس مسدسه تحت المعطف الشتوى ..

ثم صدرت التكة الخافتة من رتاج الباب ، وعلى الفور التفت (أهارون) ورجلاه الضخمان نحو (عاموس) الذى علت شفتيه ابتسامة ظفر وزهو ، قبل أن يقول فى نبرة تكاد تقارب حد الهتاف :

ـ لقد فعلتها !

وضع (عزرا أهارون) سبابته أمام شفتيه محذرًا وهو يرمق (عاموس) بنظرة قاسية صمت لها الأخير وقد تحولت ملامحه إلى الخوف كأنه تلميذ يخاف عقاب مدرسه ، ثم أشار (عزرا) له أن يتنحى عن المدخل بمعداته ليفسح لهم مجالاً للدخول ، وفى عجلة انصاع (عاموس) للأمر الإشارى ، فأسرع يجمع معداته داخل الحقيبة ، بينما (عزرا) يقترب فى بطء وحذر من الباب كثعلب يقترب من قطيع حملان ، مشيرًا لرجليه من خلفه أن يتبعاه ، وهو يهمس لهما قائلاً :

ـ (شاؤل) ، (ناحوم) ، استعدا ..

دنا منه الرجلان حتى كادا يلتصقان به ، والثلاثة يشدون على مقابض مسدساتهم فى تحفز ، وعينا (عاموس) المتوترتان تتابعان الموقف عن كثب ، حتى حسم (عزرا) أمره ، فرفع قدمه اليمنى راكلاً الباب فى قوة لينفتح ، ثم اندفع ـ كالسيل ـ هو ورجلاه مقتحمًا السكن الصغير ، ومسدساتهم مشهرة أمامهم ..

لكنهم لم يجدو أحدًا سوى الأثاث ، أمام أعينهم على الأقل ..

كان المسكن مما يطلقون عليه اسم (استديو) ، عبارة عن صالة صغيرة بها بعض الأرائك ، وطاولة صغيرة فى المنتصف عليها زجاجة (بيرة) وحقيبة لامعة مغلقة ، وحجرة نوم ذات باب مفتوح يظهر من خلفه سرير لشخص واحد ومشجب لتعليق الملابس ، وملحق بها دورة المياه ذات الباب المفتوح أيضًا ..

وبرغم أنه بدا من الواضح أن المكان على صغر مساحته لا يصلح لاختباء فأر صغير ، فقد استمر (عزرا) يتقدم أمام رجليه فى خطوات حذرة نحو

الداخل ، وعندما أصبح على قيد أنملة من الطاولة ، أشار لرجليه أن يتقدما لتفتيش الغرفة ، وهو يرسل بصره إلى خارج تلك الشرفة الزجاجية العريضة التى تحتل صدر الصالة ، وتشرف على شارع جانبى من شوارع (باريس) ..

ـ لا أحد بالداخل ، أدون (أهارون) ..

قالها أحد الرجلين بنبرة غليظة ، بينما خفض (عزرا) مسدسه وهو يتأمل الحقيبة المغلقة التى يعرف ماهيتها جيدًا ، إنها حاسب آلى نقال مغلق ..

ـ كنت أتوقع هذا ..

قالها (عزرا) مغمغمًا كأنه يحادث نفسه ، ثم رفع بصره نحو باب المسكن مضيفًا :

ـ وأريد (عاموس) فى الحال ..

سواء سمع (عاموس) النداء أم لم يسمع ، فقد اجتاز الباب قبل حتى أن ينتهى من عبارته ، حاملاً حقيبته الجلدية السوداء الأثيرة ، فتابع (عزرا) وهو يجلس فاتحًا الحاسب الآلى أمامه على الطاولة :

ـ يبدو أن حاجتنا لك لا تنتهى يا عزيزى !

هز (عاموس) كتفيه مجيبًا :

ـ إنه عصر التكنولوجيا ، أدون (أهارون) . وأنا خبير الإلكترونيات الوحيد من رجالك !

ضغط (عزرا) زر تشغيل الحاسب الآلى النقال ، قائلاً :

ـ حسن أيها الفصيح ، أنت تعلم أننى لا أجيد هذه الأمور .. تعال وتعامل أنت مع هذه الأشياء الجامدة ..

قال أحد الرجلين الضخمى العضلات بصوته الأجش المزعج :

ـ ونحن يا زعيم ؟!

ساخرًا قال (عزرا) :

ـ ماذا عنكما ؟! هل تفهمان شيئًا فى علوم الحاسب الآلى وشفرات الدخول للأنظمة المغلقة ؟!

قال الآخر وقد شعر بالمهانة لاستهزاء رئيسهما :

ـ نستطيع على الأقل أن نقلب المكان رأسًا على عقب بحثًا عن الشريحة الإلكترونية التى ...



هتف به (عزرا) موبخًا بينما (عاموس) يحتل مكانه أمام شاشة الحاسب الآلى النقال :- أغلق فمك يا برميل الغباء ؟!

هتف به (عزرا) موبّخًا بينما (عاموس) يحتل مكانه أمام شاشة الحاسب الآلى النقال :

ـ أغلق فمك يا برميل الغباء .. هل تعرف ما هى الشريحة التى نتحدث عنها ؟!

وقرب بين إصبعيه السبابة ، والإبهام أمام عينيه حتى كادا يلتصقان متابعًا :

ـ إنها شىء فى هذا الحجم تقريبًا ، وبحثنا عنها فى هذا المكان أشبه ببحثنا عن نقطة ماء فى قلب المحيط ، هذا لو افترضنا أن (بول رينيه) صاحب هذا المسكن هو (القرصان الأعور) الحقيقى ..

تساءل الأول متظاهرًا بالذكاء :

ـ ومن يكون غيره يا زعيم ؟!

وضع (عزرا) يديه فى جيبى معطفه وهو يتنهد مغمغمًا :

ـ لا أدرى .. ولكنى مازلت أشعر أن فى الأمر خدعة ما ..

ثم إنه التفت نحو (عاموس) الذى أخرج من

حقيبته جهازًا آخر أشبه بالذى أخرجه لفك شفرة الرتاج الإلكترونى ، وطفق يوصله بجهاز الحاسب الآلى النقال ، وتساءل :

ـ هل توصلت لشىء ؟!

أشار (عاموس) نحو الشاشة قائلاً فى لهجة سريعة أشبه بطلقات الرصاص :

ـ إنه يعمل بنظام تشغيل (النوافذ)(★) القديم ، ولكن الواجهة مشفرة بكلمة سر تسمح لمن يعرفها فقط أن يستخدم البرامج المحملة على ذاكرته ، وهذا الجهاز الصغير سيسمح لنا بتخطى هذا العائق البسيط ..

وإثر ضغطه المتتابع السريع لبعض الأزرار ، ارتسمت البسمة الظافرة على شفتيه وهو يقول مزهوًا بما فعل :

ـ ها نحن أولاء فى الداخل ..

(★) نظام التشغيل هو البرنامج الذى يسمح بالتعامل مع الكمبيوتر ويجعله يقوم بالأعمال التى تطلبها منه ، والنوافذ (Windows) هو أحد أنظمة التشغيل لحاسبات I B M والمتوافقة معها .

سأله (عزرا) فى لهفة لم يستطع إخفاءها :

ـ وماذا لديك ؟!

أخذت أصابع (عاموس) تعدو فوق الأزرار ، وعيناه معلقتان بالشاشة ، بينما يقول :

ـ رقم الـ (IP) لهذا الجهاز مطابق للذى اخترق بريد (القرصان الأعور) المجانى صباح اليوم ، مما يعنى ...

قاطعه (عزرا) فى سرعة :

ـ أن (بول رينيه) هو حقًا (القرصان الأعور) الذى نبحث عنه ..

ضغط (عاموس) أيقونة البحث ، فبرز له على الشاشة صندوق الحوار الخاص بالأمر (ابحث) ، وسارعت أصابعه تضغط حروف كلمة (الوحدة ٨٢٠٠) لتتراص أمامه داخل الصندوق ، ثم ضغط الأمر (نفذ) ، وفى أقل من ثانية جاءته نتيجة البحث ، فقال فور انتهاء (عزرا) من إلقاء استنتاجه :

ـ أكثر من هذا ، هناك ملف كامل يحمل اسم (الوحدة ٨٢٠٠) مخزن على القرص الصلب ...

هتف (عزرا) مبهورًا :

ـ حقًا ؟!

ـ نعم ، ها هوذا .. .

وفى نفس اللحظة التى ضغط فيها زر (فتح الملف) ، كان (عزرا) قد جلس إلى جواره موجهًا بصره واهتمامه نحو الشاشة ، وبعد ثانية واحدة تغير الانفعال على وجهه كلية ، فقد عبس واحمرت وجنتاه وهو يهتف فى حنق ساخط :

ـ ما هذا التهريج ؟!

كظم (عاموس) غيظه وهو يحدق فى الشاشة قائلاً :

ـ إنه يسخر منا بكل وقاحة ، أدون (أهارون) ...

ولم يفهم أى من الثورين سر ما يجرى لأنهما لم يكونا فى مواجهة الشاشة ، التى ارتسمت فوقها صورة كاريكاتيرية تمثل طفلاً رضيعًا يجلس أمام جهاز حاسب آلى ، تحمل شاشته صورة نجمة (داوود) الشهيرة الزرقاء التى تمثل شعار (إسرائيل) ، وفى الأسفل تعليق يضوع منه عبق

السخرية المستهزئة اللاذعة (دورات تعليم اختراق الأنظمة الشبكية السرية للمبتدئين ـ دورة رياض الأطفال الخاصة بأنظمة الوحدة ٨٢٠٠) !!!

بلغ الغضب بـ (عزرا) ذروته فانتفض واقفًا ، وقال معتصرًا قبضته فى غل بيِّن :

ـ الوغد ، اللعين .. سأسحقه بقبضتى هذه فور رؤيتى له ، وسأجعله يندم على اليوم الذى ولدته فيه أمه ..

والتفت نحو رجليه قائلاً فى عصبية :

ـ هيا يا رجال ، سنقلب (باريس) كلها رأسًا على عقب حتى نعثر عليه ..

انتفخت أوداج الرجلين بعد أن أعاد لهما قول القائد شعورهما بأهميتهما ، وهمّا بالمضى خلف (أهارون) لولا أن استوقف صوت (عاموس) المتوتر الجميع ، وهو يقول :

ـ يبدو أننا لسنا وحدنا الذين نبحث عنه ، أدون (أهارون) ..

التفت إليه (عزرا) فى حدة ، سائلاً :

ـ ماذا تعنى يا (عاموس) ؟!

أشار (عاموس) إلى جهاز تخطى كلمة السر الموصل بجهاز الحاسب الآلى النقال ، وهو يستطرد مفسرًا دون أن يزول التوتر عنه :

ـ لقد أضفت بنفسى تعديلاً طفيفًا فى الدوائر المضغوطة لهذا الجهاز ، جعله بالإضافة لوظيفته الأصلية فى تخطى العوائق الشفرية يتمتع بخاصية أخرى ، وهى معرفة إن كان الجهاز الموصل قد تعرض للاختراق من قبل أو أنها المرة الأولى ، ونسبة الخطأ فى أمر كهذا تكاد تبلغ الصفر بالمئة ..

وازدرد لعابه قبل أن يردف قائلاً :

ـ والجهاز يشير إلى أن الحاسب الآلى هذا قد تعرض لعملية اختراق مشابهة للتى قمنا بها الآن ، وبنفس الوسيلة تقريبًا !

وازدرد لعابه مرة أخرى ، وهو يتبادل مع (عزرا أهارون) نظرة ملؤها التوتر .. وعدم الفهم ..

★ ★ ★

(٤)

عبر الضوء الأخضر الأفقى الصادر من قاعدة الماسحة الضوئية على صفحتى جواز السفر المفرودتين فوقه ، ثم قلبه الضابط المختص بجوازات الأجانب فى مطار (شارل ديجول) ، ناقلاً إياه لجهاز آخر حتى يتم دمغه بختم الدخول إلى (باريس) ، وهو يرمق الشاب المصرى الممشوق القوام ، المفتول العضلات ، الحليق الرأس ، الأنيق الملبس ، المبتسم فى غير تكلف ، بنظرة عميقة ..

ولم تمض لحظة حتى كان الختم يبدو ظاهرًا وبارزًا على صفحة الجواز بنقشه المميز ، وأخذ الضابط يقلب فى باقى الصفحات حتى توقف بعينيه عند الصفحة التى تحمل صورة حامله ، بجوار بياناته المهمة ، قائلاً فى لهجة سؤال :

ـ (لبيب نور الدين) ، رجل أعمال ومستثمر مصرى ؟!

ـ بالضبط ..

أجابه (عمر زهران) بفرنسية سليمة أتقنها منذ نعومة أظفاره ، وبسمة ودود مصطنعة ترتسم فوق شفتيه وتطل من نظراته ..

ـ عمل أم سياحة ؟!

ـ قليل من هذا وكثير من ذاك !

قلب الضابط صفحات الجواز مرة أخرى ، قائلاً فى جمود دون أن يبدى أدنى تأثر بدعابة (عمر) :

ـ مسجل فى جواز سفرك أنك تحمل هاتفًا خلويًا ..

هز (عمر) كتفيه قائلاً :

ـ لا أعتقد أن هذا يتنافى مع القوانين الفرنسية !

قال الضابط بنفس جموده الرصين :

ـ لكنك ستحتاج بالتأكيد لتزويده بخدمة العمل فى (باريس) ..

عاد (عمر) يداعبه قائلاً :

ـ بالتأكيد ، فلست أهوى قطع الخردة المتنكرة فى هيئة هواتف خلوية !

ناوله الضابط جواز سفره وهو يقول مشيرًا بيده :

ـ فى أقصى الركنِ هناك فرع لمؤسسة (ماربل للاتصالات) ، إنها أفضل من يقدم هذه الخدمة فى (فرنسا) كلها ..

تناول (عمر) جواز سفره قائلاً فى امتنان :

ـ شكرًا لك على كل حال يا سيدى ..

وحمل حقيبته اليدوية الصغيرة ليعلقها بكتفه ، وبخطوات متسارعة اتجه إلى حيث أشار الضابط وهو يغمغم لنفسه قائلاً فى صوت غير مسموع إلا له :

ـ أتمنى ألاَ يكون (القرصان الأعور) قد فعلها ، وهاتفنى خلال هذه المدة ..

ـ مسيو (لبيب نور الدين) ؟!

فوجئ (عمر) بشاب أشقر ، ضئيل الجسد ، يرتدى حلة رسمية زرقاء وقبعة أنيقة ، ويمسك فى يده بصورة له ، يعترض طريقه هاتفًا باسمه على هذا النحو ..

ـ نعم ..

ـ أنا (جاك)، سائق الليموزين المكلف باستقبال سيادتك رسميًا فور قدومك من (مصر) .. إنها تقاليد (المكتب ١٧) لحبك القصة واستكمال التفاصيل الصغيرة فى مسألة كونه رجل أعمال مرموق الشأن، حتى لا تثار من حوله شكوك هو فى غنى عنها إذا ما استقل سيارة أجرة مثلاً ..

ـ مرحبًا (جاك) ..

قالها (عمر) فى ود، وهو يناول (جاك) حقيبته الصغيرة مردفًا :

ـ انتظرنى عند البوابة ريثما أنجز مهمة صغيرة ..

انحنى (جاك) فى احترام وهو يقول :

ـ بالطبع، سيدى ..

وقفل خارجًا بينما اتجه (عمر) نحو اللافتة الكبيرة المضيئة التى تحمل اسم (مؤسسة ماربل للاتصالات)، وأسفلها تمامًا استقبلته ببسمة جذابة فتاة رقيقة ترتدى الزى الرسمى للعاملين بالمؤسسة، ويتدلى من أذنها اليسرى حتى جانب فمها ذلك الذراع

المعدنى الخاص بجهاز التحدث والاستماع فى نفس الآن، وهى تقول بصوت عذب :

ـ مرحبًا بك يا مسيو ..

لمح (عمر) بنظرة خاطفة بطاقة الهوية الصغيرة المعلقة فوق صدرها، واستطاع أن يلتقط اسمها المدون فوقها قبل أن يقول رادًا التحية :

مرحبًا (إلزا) ..

ابتسمت لسرعة بديهية قبل أن تسأل مزيحة خصلة من شعرها تدلت فوق جبهتها :

ـ هل من خدمة أسديها لك ؟!

ناولها هاتفه الخلوى قائلاً :

ـ أريد لهذا الشىء أن يعمل هاهنا فى (باريس) !

التقطته منه بسرعة وشرعت فى فك غطائه الخلفى، بينما أضاف هو مازحًا :

ـ ربما يعمل إثر لمسة من يديك الحانيتين !

ابتسمت وهى تزيح الغطاء وتنحيه جانبًا، ثم قالت بلهجة ذات مغزى :

ـ يبدو أن أحاديثك الغرامية فى هذا الهاتف كثيرة يا مسيو ..

وأشارت إلى جهاز دقيق ملحق بدوائر الهاتف الإلكترونية وهى تتابع قائلة :

ـ لهذا ألحقت به وصلة منع التنصت عبر موجات الأثير اللاسلكية ..

لم يكن أمر كهذا ليختفى على أية حال ، هكذا قال (عمر) لنفسه قبل أن يقول لـ (إلزا) بنفس لهجة المرح التى تبدو طبيعية للغاية :

ـ ليس هذا فحسب يا عزيزتى ، إننى رجل أعمال ، والحاقدون والمتطفلون أكثر من أن أستطيع إحصاءهم ..

أضافت إلى الوصلات شريحة إلكترونية تحمل شعار المؤسسة ، وهى تقول :

ـ توخ الحذر إذن يا مسيو ، إنهم يبتكرون كل يوم المزيد والجديد من وسائل التنصت ، ووسائل منع وسائل منع التنصت !

ناولها بطاقة الائتمان الخاصة به ـ بالمليونير (لبيب

نور الدين) الأصلى لو شئنا الدقة ـ وهو يغمز لها قائلاً :

ـ لا توصى حريصًا مثلى !

مررت البطاقة فى جهاز خاص بتحويل المبلغ المطلوب من رصيده البنكى ، وعادت تناوله إياها مع الهاتف الخلوى ، قائلة فى بسمتها العذبة ونبراتها الناعمة الدقيقة :

ـ مرحبًا بك مرة أخرى فى (باريس) يا مسيو ...

تناولهما وهو يقول مبتسمًا :

ـ لم أكن أتصور أن تكون (باريس) على هذا القدر من الجمال ...

وأضاف فى لهجة ذات مغزى :

ـ لكنى وجدتها رائعة حقًا !

شيعته (إلزا) بابتسامتها الساحرة ، حتى ذاب وسط زحام رواد المطار من ذاهبين وقادمين ومشيعين ومستقبلين ، أما هو ، فقد شق طريقه وسط الناس والعربات المحملة بالأمتعة حتى عثر على

(جاك) ، السائق الفرنسى الضئيل ، عند البوابة حيث أمره بانتظاره ..

وفى غضون دقائق ، كانا يقفان أمام مؤخرة السيارة (الليموزين) الفارهة ، و (جاك) يضع الحقيبة اليدوية الصغيرة داخل حقيبة السيارة الواسعة ، قائلاً وهو يحاول التبسط مع رجل أعمال يرتدى معطفًا باهظ الثمن ، يوازى سعره قيمة راتبه فى شهرين أو أكثر :

ـ أمتعتك قليلة حقًا ، مسيو (نور الدين) ..

قال (عمر) وهو ينظر إلى ساعة معصمه التى أشارت إلى الثالثة والربع بعد الظهر :

ـ إن (باريس) هى عاصمة التسوق يا عزيزى ..

أغلق (جاك) الحقيبة ، وقال محاولاً التودد إلى (عمر) ـ (لبيب نور الدين) فى نظره ـ أكثر :

ـ إننى خبير ممتاز بأسواق ومتاجر (باريس) يا مسيو ، يمكننى أن أدلك على أماكن تحصل فيها على خصم يتجاوز ...

قاطعه (عمر) مشيحًا بيده :

ـ فيما بعد ، يا (جاك) ، فيما بعد ..

أسرع (جاك) يفتح له باب السيارة الخلفى ، وهو يقول فى ارتباك :

ـ آسف ، مسيو (نور الدين) ، لم أقصد إزعاجك صدقـ ...

قاطعه هذه المرة رنين هاتف خلوى ، صادر من جيب معطف (عمر) ، الذى انعقد حاجباه فى توتر ، وهو يخرج الجهاز الذى يرن بلا انقطاع من جيبه ، محدقًا فى شاشته بكل اهتمام وتركيز ..

الرقم الظاهر على الشاشة خاص بهاتف عمومى ، هذا واضح من الرقمين الأولين ، واحتمال أن يكون (القرصان الأعور) هو المتحدث كبير إلى حد مدهش ، هكذا فكر (عمر) ، لكنه قبل أن يضغط زر (قبول المكالمة) ، ضغط زرًا آخر فى جانب الجهاز ، وهو زر أضافته إدارة المعدات التقنية الدقيقة فى (المكتب ١٧) ، للتأكد من أن برنامج حماية المكالمات من التنصت عبر الأثير ، الذى تم تحميله على الوصلة التى رأتها موظفة الاتصالات (إلزا) منذ قليل ، يعمل

بكفاءة ، وأن الجهاز غير واقع تحت مجـالات تنصتيـة موجهة فى نطاق عمله ، ولم تمض لحظات حتى كانت النتيجة قد ظهرت أمامه على الشاشة ..

البرنامج يعمل بكفاءة ، ولا توجد مجـالات تنصت فـى دائـرة قطرهـا ٦ كيلومـترات ، وعلـى الفـور ، إثـر مطالعتـه لهـذه النتيجـة السلبية ، ضغـط (عمـر) زر (قبول المكالمة) ..

ـ آلو ..

ـ (لبيب نور الدين) ؟!

ـ من المتحدث ؟!

ـ أهو أنت ؟! (لبيب نور الدين) ؟!

ـ أجل ..

ـ سيقابلك (القرصان الأعور) الساعة الرابعة تمامًا ، البار الملحق بالطابق الثالث من أشهر معالم (باريس) ..

ـ برج (إيفل) ؟!

ـ تمامًا ..

ـ أهو أنت ؟! (القرصان الأعور) ؟!

ـ ليس هذا من شأنك .. إلى اللـ ...

ـ انتظر .. وكيف سأتعرفك .. أقصد سأتعرفه ؟!

ـ ألم تر قرصانًا أعور من قبل ؟!

ـ بلى ، ولكن .. ماذا تقصد ؟!

الساعة الرابعة ، الطابق الثالث من برج (إيفل) .. لو لم تأت فلن يكون الكنز من نصيبك .. إلى اللقاء ..

وأغلق المتحدث السماعة ، تاركًا (عمـر) معقـود الحـاجبين ، سـاهم النظـرات ، شـاردًا وهـو يقـف أمـام الباب الذى مازال (جاك) يمسك بمقبضه ..

لكن الحال لم يطل بهمـا هكـذا ، فسـرعان مـا ركـب (عمر) ، واتخذ (جاك) مقعده أمام المقود قائلاً :

ـ أعتقد يا مسيو أن لديك حجزًا فى فندق ...

ـ إلى برج (إيفل) يا (جاك) ..

سأل (جاك) مستفهمًا :

ـ ماذا يا مسيو ؟!

ـ إلى برج (إيفل) فى قلب (باريس)، الآن، وبسرعة ..

* * *

(٥)

وقف (عزرا أهارون) ينفث دخان سيجارته ذات الرائحة النفاذة ، أمام الشرفة الزجاجية الواسعة التى تطل على شارع (شانزليزيه) أفخم وأرقى شوارع (باريس) ، وعقله يحاول فهم مايجرى فى ضوء المعلومات المحدودة التى لديه ، دون جدوى ..

ـ لاجديد ، أدون (أهارون) . نفس النتائج المتوقعة ..

قالها (عاموس) ، فاركًا عينيه اللتين أجهدهما التطلع المستمر إلى شاشة حاسبه الآلى ، وأعقبها بتثاؤب طويل يليق بشخص منهك حقًا ، فى أثناء التفات (عزرا) إليه والتساؤل يطل عبر عينيه الحادتين ، فما كان من (عاموس) إلا أن استطرد مفسرًا :

ـ لقد راجعت ببرنامج تدقيق حديث بيانات كل القادمين على جميع الطائرات العربية التى هبطت بـ (باريس) منذ صباح الأمس ، ولم يسفر البحث عن

أى وجه تعرفه ملفاتنا ، ويمكن أن نشعر بالخطر لقدومه فى هذه الظروف بالذات ..

ـ وماذا عن الطائرة المصرية التى هبطت منذ قليل فى (شارل ديجول) ؟!

ـ نفس النتيجة ، أدون (أهارون) . يبدو أن المصريين ـ ولنقل العرب جميعًا ـ لم يتحركوا بعد ..

ـ أو أنهم قد أرسلوا وجهًا جديدًا ، لاتنس احتمالاً خطيرًا كهذا ..

صمت (عاموس) لوهلة إذ لم يخطر بباله أمر كهذا ، لكنه سارع بهضم الفكرة قائلا :

ـ إنه احتمال وارد قطعًا ، ولكن ...

نفث (عزرا) دخان سيجارته متسائلاً إثر صمت (عاموس) المفاجئ :

ـ ولكن ماذا ؟!

ـ هل يجازفون بإرسال عميل مبتدئ لحدث جلل مثل هذا ؟! خاصة وأنهم قد عرفوا بالتأكيد أمر دخولك (باريس) ، وأنت أحد أخطر رجال وحدتنا ، وأرفعهم شأنًا ؟!

لم يشعر (عزرا) بالفخر لتملق (عاموس) الصريح ، بل ازداد حاجباه انعاقدًا ، وهو يعاود النظر عبر شرفة المسكن الفاخر إلى زحام (شانزليزيه) مغمغمًا :

- برغم خبرتى الطويلة فى التعامل معهم ، إلا أننى لا أجزم باستطاعتى التكهن بكل خطواتهم ، وكل وسائلهم فى التفكير ، وطرقهم فى التحايل ..

وألقى بعقب سيجارته مشتعلاً فى المنفضة القريبة ، وهو يضيف :

- إنهم خصم لا يستهان به أبدًا يا (عاموس) ..

- لكنك لم تخسر مهمة واحدة فى حياتك من قبل ، سواء معهم أو مع غيرهم ، أدون (أهارون) ..

- لأن الظروف لم تضعنى للآن فى موقف المواجهة المباشرة معهم ، وخبرتى الطويلة التى أتحدث عنها خبرة نظرية محضة يا عزيزى ..

وضم قبضته إلى صدره ، قائلاً فى عزم وإصرار :

- ولن أسمح لمواجهتى الأولى معهم ، أيًا كان

موعدها ، أن تكون نقطة سوداء فى سجلى النظيف المشرف ، لن أسمح بهذا أبدًا ..

ران الصمت بعد عبارته الأخيرة للحظات ، وبدا (عاموس) مبهوتًا إذ يصارحه قائده بخوفه من الهزيمة هكذا بكل بساطة ، حتى بدد (عزرا) نفسه الصمت بقوله :

- دعنا منهم الآن مؤقتًا ، ماذا عن صديقنا (بول رينيه) ؟!

هز (عاموس) رأسه ببطء وهو يقول فى خيبة أمل :

- لا جديد فى هذا أيضًا ، أدون (أهارون) . فهو لم يظهر فى المؤسسة التقنية التى يعمل بها منذ صباح الأمس ، ولم يستخدم بطاقات ائتمانه أو اشتراكاته الرقمية فى الأوتوبيس أو مترو الأنفاق ، وحاسبه الآلى النقال معنا ، وهو حتى لم يستخدم حسابه على شبكة الإنترنت من أى حاسب آلى آخر ، وبريده الإلكترونى الشخصى كاد ينفجر من كثرة الخطابات الإلكترونية التى تلقاها ، مما يعنى أنه لم يقرأ أيًا منها ليوم كامل على الأقل ، كذلك هو لم يظهر فى مسكنه منذ اختفائه صباح أمس ..

وصمت لحظة قبل أن يردف قائلاً :

ـ لقد ذاب كذرة مـن الملـح فـى كـوب مـن المـاء ، يبدو أنه حريص للغايةِ ، أدون (أهارون) ..

قال (عزرا) مفكرًا :

ـ هذا اللعين لم يرسل إلينا ردًا كذلك على الرسـالة الإلكترونية التى عرضنا فيها دفع المبلـغ ، وأرسـلناها لحساب بريده الإلكترونى المجانى ..

وقبل أن يستفيض فى شرح أفكاره ، فوجئ بهتـاف (عاموس) الساخط :

ـ تبًا ! علىَّ اللعنة ، كيف لم أنتبه لهذا ؟!

سأله (عزرا) فى توتر :

ـ ماذا هناك ؟!

أشار (عاموس) لشاشة حاسبه الآلى ، هاتفًا :

ـ انظر ، أدون (أهارون) ، انظر ، إنه (لبيب نور الدين) !

كانت الشاشة تحمل صورة من جواز سفر (عمـر

زهران) المزيف الذى تم مسحه ضوئيًا فـى المطـار ، حـدق فيهـا (عزرا) وهـو يغمغم بينمـا عقلـه يحـاول التذكر جاهدًا :

ـ من هذا الـ ...

وأضاءت أركان عقله المظلمة فجأة ، وهو يهتف :

ـ أجل ، ذلك المصرى الذى عرض شراء الشريحة الإلكترونية فى خطابه الإلكترونى الذى اخترقنـاه علـى حساب (القرصان الأعور) البريدى المجانى ..

هتف (عاموس) فى حماس :

ـ هو .. هو بعينه .. أدون (أهارون) .

وأضاف لاهثًا :

ـ إنه هنا فى (باريس) ، مما يعنى أن (القرصـان الأعور) ، قد يبيعه الشريحة ..

ـ اللعين ..

دق (عزرا) سـطح المـائدة التـى يجلـس إليهـا (عاموس) أمام حاسبه الآلى بقبضة يده فى قوة هزتها ، ثم هتف بـ (عاموس) وعيناه تبرقان كذئب جائع :

- ابحث عن أى بيانات متعلقة بهذا المصرى فى (باريس) كلها ، ابحث فى سجلات الفنادق والشقق المؤجرة للأجانب وجميع الشركات الخدمية ، تأجير سيارات ، مقاهى إنترنت ، هواتف خلوية ، حاسبات آلية ، حتى متاجر العاديات والهدايا التذكارية ، أريد معلومات تفصيلية عن هذا الرجل فى أقل من ساعة ، وكلما كان الوقت أقل ، كلما كان رقم المكافأة المجزية التى سأوصى لك بها أعلى ..

كانت أصابع (عاموس) تقفز فوق الأزرار ، وعيناه معلقتان بالشاشة ، عندما ارتسمت بسمة هادئة واثقة فوق شفتيه وهو يقول :

- حقًا ، أدون (أهارون) ؟!

اتسعت عينا (عزرا) وهو ينقض عليه فى عجلة ملهوفة ، سائلاً :

- هل من جديد ؟!

اتسعت ابتسامة (عاموس) ويده تشير إلى ما ارتسم على الشاشة ، قائلاً :

- إن الحظ يلعب فى صالحنا بكل تأكيد ..

كانت الشاشة تعرض صورة ثلاثية الأبعاد لـ (عمر زهران) ، بجوار بيانات تفصيلية عن شخصيته الحقيقية كرجل أمن مصرى يعمل فى صفوف (المكتب ١٧) ، أسرعت عينا (عزرا) و (عاموس) بالعدو فوقها عندما ندت عن الأول غمغمة خافتة :

- الأوغاد !

ثم أسرعت الشاشة تتغير ، ليظهر فوقها سطران محددان ، مكتوبان بالفرنسية ..

الزمان : الرابعة عصرًا
المكان : برج (إيفل) - الطابق الثالث .

- إنه ميعاد اللقاء بين المصرى و (القرصان الأعور) بكل تأكيد ..

هتف بها (عاموس) لاهثًا ، وقد بلغت به الإثارة ذروتها ، بينما سأله (عزرا) محاولاً استعادة رباطة جأشه :

- كيف استطعت الوصول لكل هذا ، يا (عاموس) ؟!

حاول (عاموس) هو الآخر أن يهدأ وهو يقول :

ـ لقد .. لقد كانت رسالة إلكترونية عاجلة بأيقونة (السرعة القصوى)، وصلتنى منذ لحظات وأنت تطالب بالبحث عن هوية المصرى ..

سأل (عزرا) فى شك :

ـ رسالة ؟! ومن المرسل ؟!

ـ لم أنتبه لهذا ، لكنه أمر بسيط يمكننا معرفته فى الحال ..

وسارع بالضغط فوق بضعة أزرار ، ارتسمت على إثرها فوق الشاشة لوحة لصندوق يحمل فى أعلاه عبارة (المرسل إليه) ، وبجوارها عنوان البريد الإلكترونى الشخصى لـ (عاموس) ، وبأسفلها عبارة (المرسل) ، وبجوارها مساحة خالية من أية معلومات !

ـ ما معنى هذا اللهو ؟!

قالها (عزرا) فى حنق ، بينما قال (عاموس) وقد بدأ الشك يغزو قلبه ، بعد ذهاب السكرة ، وإتيان الفكرة :

ـ لقد أخفى المرسل عنوان بريده الإلكترونى ، حتى يكون الاستدلال على هويته مستحيلاً ..

وأضاف بعد أن تنحنح :

ـ ربما كان الأمر برمته خدعة سخيفة ، أدون (أهارون) . يمكننى أن أبدأ الآن البحث الفعلى عن هوية و ...

قاطعه (عزرا) وهو ينظر لساعته :

ـ كلا يا (عاموس) ، إنها الثالثة والنصف والآن ، ولن نخسر شيئًا لو كان الأمر كما تقول ، لكننا سنخسر الكثير لو كان الأمر حقيقيًّا ..

ورفع عقيرته بنداء ثوريه الضخمين :

ـ (ناحوم) ، (شاؤول) ، استعدا ..

ثم عاود النظر لـ (عاموس) قائلاً فى جدية عملية :

ـ وأنت أيضًا ستصاحبنا إلى هناك ، ربما كنا فى حاجة إليك !

★ ★ ★

(٦)

قطع من القطن تسبح فى بحر السماء الزرقاء ، تحجب خلفها الشمس والدفء ، وتصبغ الأجواء برمادية شتاء دائمة ، تحب (باريس) أن تتميز بها ..

عبرت السيارة (الليموزين) الفارهة تحت (قوس النصر) الشهير ، يقودها (جاك) نحو البرج الشامخ الذى بناه المهندس الملهم (إيفل) منذ عقود كثيرة خلت ، و (عمر) يهيم بعينيه هنا وهناك كأنهما تشربان كل تفاصيل الشوارع والبشر ..

وبعد دقائق ، ضغط (جاك) مكبح السيارة لتقف بهما فى المرآب الخاص أسفل البرج الذى يطاول بقامته عنان السماء ، ثم التفت برقبته نحو (عمر) قائلاً بابتسامة مهنية :

ـ ها قد وصلنا يا مسيو (لبيب) ..

كان (عمر) ينظر فى ساعة معصمه التى أشارت إلى الرابعة إلا عشر دقائق ، وهو يغمغم :

ـ فى الميعاد المناسب تمامًا ..

وارتفعت عيناه تنظران نحو قمة البرج الشاهقة الارتفاع ، مردفًا :

ـ أعتقد أن صديقنا هناك الآن ..

فى محاولة سانجة أخرى لييدو ودودًا ، سأله (جاك) :

ـ هل ينتظرك أحد بالأعلى يا مسيو ؟!

قال (عمر) فى لهجة آمرة تنضح بالرصانة والتجاهل :

ـ انتظرنى هنا ، حتى لو غبت قليلاً ..

وهبط من السيارة فى سرعة تاركًا (جاك) يغرق فى بحر حرجه ، حتى إن وجهه ذا البشرة البيضاء قد أصبح قطعة من حمرة شمس المغيب ، واتجه من فوره نحو المصعد الذى يستقله السياح فى الصعود إلى أعلى قمة باريسية ، حاشرًا نفسه بينهم فى المصعد الذى امتلأ عن آخره برغم اتساعه ..

ومضت دقائق أخرى ، وقف بعدها (عمر) أمام الواجهات الزجاجية مطلاً على المدينة التى أصبحت

مبانيها أصغر من أعواد الثقاب ، وطرقها خطوطًا مستقيمة ومتعرجة ، وقاطنوها أسرابًا من النمل إن لم يكن أصغر ، متشاغلاً عن ذلك المنظر المبهر الخرافى الذى يندر أن يشهد المرء مثله ، بالنظر إلى ساعته التى كاد عقرب ثوانيها يبلغ الرابعة تمامًا ، وبالتفكير فى أمر يحيره كثيرًا ، حتى إنه يجعله يتلفت حول نفسه كمستقبلٍ رادارى حساس ..

كيف سيتعرف هذا (القرصان الأعور) المزعوم ؟ كيف سيعرفه وسط هذا الزحام السياحى المهول الذى يضم بشرًا من كل الأجناس والأشكال ؟! خاصة وأن هذا القرصان لايعرفه إلا اسمًا فقط ، وحتى لو بحث عبر شبكة الإنترنت عن (لبيب نور الدين) فلن يجد عنه سوى بيانات تعنيه دون ملف صورى واحد ، وهو ما احتاط له خبراء (المكتب ١٧) جيدًا ..

« ألم تر قرصانًا أعور من قبل ؟ »

ماذا كان يقصد ؟! هل به علامة مميزة تميز القراصنة كما ترسمها ذكرياتنا المدفونة عن صورهم فى أثناء الطفولة ؟! أم كان يقصد شيئًا آخر ؟! نوعًا

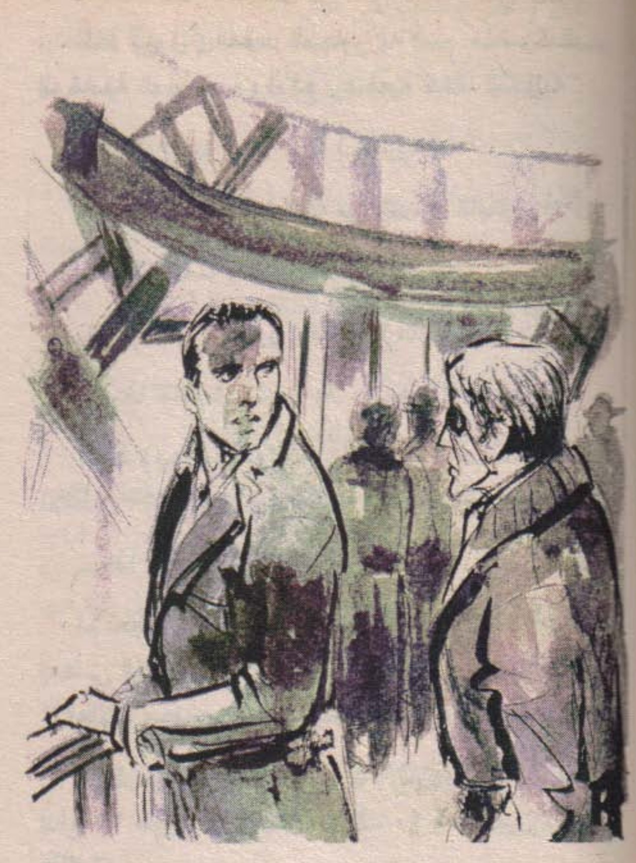
من (البارانويا)(*) التى يتمتع بها العباقرة المهضومة حقوقهم كهذا المخترق الذى استطاع ولوج الشبكة السرية الخاصة بـ (الوحدة ٨٢٠٠) دون أن ينتبه أحد لأهميته ومواهبه كمبرمج يعمل فى شركة تقنيات فرنسية كبرى ؟! هذا طبعًا بافتراض أنه (بول رينيه) الذى رأى صورته عند اللواء (عفت حفنى) رئيس (المكتب ١٧) .

الساعة الرابعة وثلاث دقائق وبضع ثوان ، لم يظهر بعد (القرصان الأعور) ، لكن لابأس من الانتظار قليلاً خاصة ، وأن المنظر يزداد روعة من هذا العلو الشاهق ، بالذات وأنتَ جالس فى هذا البار الذى يدور بك مستعرضًا (باريس) من كافة الزوايا ..

ها هو ذا نهر (السين) ، أهم المعالم الطبيعية التى تظللها الجسور الحديثة والعتيقة ، يمرق من أسفلها بين الفينة ، والفينة سفينة سياحية ، أو زورق صيد أو حراسة ، أو قارب من قوارب التنزه الخاصة ..

ـ مرحبًا بك يا مسيو ..

(*) البارانويا : جنون العظمة .



فاجأته العبارة فالتفت فى لمح البصر نحو قائلها ، وكما توقع كان هو (القرصان الأعور) ..

فاجأته العبارة فالتفت فى لمح البصر نحو قائلها ، وكما توقع كان هو (القرصان الأعور) ، وكما لم يتوقع كان (القرصان الأعور) هو حقًا (بول رينيه) !

« ألم تر قرصانًا أعور من قبل ؟ »

الأشقر ذو السمات والملامح الأوروبية ، الوجه الطويل ذو الذقن المدببة ، الشعيرات النامية على وجهه كلحية لم تكتمل ، ثم تلك العصابة السوداء فوق عينه اليمنى التى كان الأعور يضعها فوق عينه المغلقة منذ عهد طويل مضى ، خاصة لو كان (قرصانًا) !

لكنه برغم كل شىء (بول رينيه) التى شاهد صورته الثلاثية الأبعاد منذ ساعات قليلة فى مكتب اللواء (حفنى) بـ (القاهرة) ، برغم كل التغيرات التى اعترته ، وحولته من ذلك الشخص الوسيم الأنيق إلى هذا المسخ المشوه أمامه ..

وبسرعة بديهة قال (عمر) متداركًا دهشته ، مخفيًا كل مشاعره تحت جلده :

ـ إنك تبدو قرصانًا أعور حقًا !

اتخذ (بول) المقعد المجاور له أمام منضدة البار الرخامية السوداء ، وفرقع بإصبعيه هاتفًا للنادل :

ـ اثنان (نبيذ أحمر) يا (خوزيه) !

ـ لقد طلبت لنفسى كوبًا من عصير الليمون ..

ـ اجعله كأسًا واحدة فقط يا (خوزيه) !

بادر (عمر) بالقول ممسكًا بزمام الحديث :

ـ دعنا نتكلم فى العمل بلا مقدمات لا جدوى منها ..

التقط (بول) عودًا من الخشب المستخدم لتسليك الأسنان ، تدلى من بين شفتيه وهو يقول مبتسمًا :

ـ هذا أفضل بالتأكيد ..

لم تعجب الابتسامة (عمر) أبدًا ، كانت صفراء بمعنى الكلمة ، لكن (بول) تابع دون أن يلقى بالاً لانفعالات محدثه ، وهو يرشف من كأس النبيذ أمامه :

ـ ذكرت فى رسالتك بالبريد الإلكترونى أنك مستعد لدفع ١٥ مليون يورو بدلاً من الـ ١٠ المطلوبين ، أليس كذلك ؟!

قال (عمر) مجيبًا فى حذر :

ـ بلى ، ولكن بشرط وحيد ..

ـ لا شروط !

قالها (بول) فى حسم ، لكن (عمر) تابع فى حدة هامسة :

ـ لابد أن أرى الشريحة الإلكترونية أولاً ..

قال (بول) فى برود مستفز :

ـ ادفع واستلم ، هذه كلمتى الأخيرة ..

تظاهر (عمر) بالغضب وهو يقول محافظًا على انخفاض نبرة صوته :

ـ وما هو الضمان على حفظك كلمتك ؟! بل ما هو الضمان على وجودها معك أصلاً ؟!

ـ لا ضمانات !

الحسم مرة أخرى ، لم يكن أمام (عمر) سوى أن يناور قائلاً :

- إنك تغلق كافة أبواب الحوار ، هذه ليست طريقة تفاوض فى عمل ..

جرع (بول) ما تبقى فى كأسه ، ومسح فمه بكم ردائه فى فظاظة ، ثم تجشأ قائلاً :

- حقًا ، هذا لو افترضنا أننى أتحدث لرجل أعمال حقيقى !

ليس لحديثه سوى معنى وحيد ؛ انعقد له حاجبا (عمر) الذى سأل عابسًا بعد لحظة صمت :

- ماذا تقصد ؟!

- كأس أخرى يا (خوزيه) ..

هتف بها ثم التفت مواجهًا (عمر) وهو يستطرد فى لهجة تزداد حدتها تدريجيًا :

- أقصد ما فهمته يا رجل الأمن المصرى ، وبصفة أكثر تحديدًا أيها النقيب (عمر زهران) ، أنا أعلم عنك كل شىء ، ومن هواياتى المتعددة اللعب بأوراق مكشوفة ، فهو يجعل اللعبة أكثر إمتاعًا ، ويجعل تحديد قواعدها فى يد الأقوى ، الأقوى فقط ..

لم يجبه (عمر) ، وإنما ظل صامتًا جامدًا محدقًا فى نقطة ما خلف كتفى نادل البار الأصلع (خوزيه) ، فأضاف (بول) سائلاً وقد ظن صمته اعترافًا بالهزيمة :

- والآن ، هل أنت مستعد للدفع ؟! أم انك ستنسحب من منضدة اللاعبين ؟!

أجابه (عمر) بالصمت مرة أخرى ، ولثانية أخرى ظل يحدق فى النقطة عينها خلف كتفى النادل ، مما دعى (بول) لأن ينقل بصره إليها هو الآخر ، وامتقع وجهه للغاية ، وهو يرى المشهد الذى عكسته فى تلك اللحظة المرآة التى تحتل جدارًا كاملاً خلف منضدة البار ، وتدور مع دورانه البطىء حول مركز البرج ..

كان (عزرا أهارون) يتقدم رجلين فى ضخامة الخراتيت ، بخطوات متسارعة نحو أحد مداخل البار الثلاثة ، مشيرًا لأحدهما أن ينتظره فى الخارج أمام المصعد ، وللآخر أن يتبعه نحو الداخل ..

- يا إلهى .. إنه أخطر رجال (الوحدة ٨٢٠٠) ، لقد انتهيت تقريبًا ..

هتف (بول) ، والشحوب يعترى قسماته المنهكة ،

بينما جذبه (عمر) من معصمه ناهضًا به من فوق مقعدى البار ، وهو يهتف بصوت منخفض حتى لا يلفت إليه الأنظار :

ـ تعال معى ..

ـ إلى أين ؟! لقد رأونا بالتأكيد ..

ـ كلا ، لحسن الحظ أن الواجهة الخارجية للبار مصنوعة من الزجاج العاكس ، هذا يعنى أننا نراهم بالفعل ، بينما لا يرون هم إلا انعكاس صورهم فوق مرايا الزجاج !

كان (عزرا) ورجله قد اقتربا من البوابة القريبة منهما إلى حد مخيف ، فأسرع (عمر) يجذب (بول) خلفه فوق أرضية البار الدوارة بعيدًا ، والأخير يهتف فى جزع :

ـ لن نستطيع الاختباء منهم ..

ـ اصمت ، واتبعنى !

مقتربًا فى ملامح متجهمة تلوح عليها آيات الشر الشيطانية ، مد (عزرا) يده دافعًا أمامه بوابة البار

الزجاجية ، مغمغمًا لنفسه وهو يحدق فى انعكاس صورته على الزجاج :

ـ لو أنهما بالداخل ، فهذا يفقدنا عامل المفاجأة بكل تأكيد ..

واندفع فوق أرضية البار الدوارة أمام البوابة الثابتة ، جائلاً بعينيه الذئبيتين فى أنحاء المكان ، مضيفًا يغمغم لنفسه :

ـ ولكن ما باليد حيلة !

لم يكن هناك أثر فى البار كله ، مقاعده ومناضده ورواده لـ (عمر) أو (بول) ، مما دعا الضخم أن يقول :

ـ يبدو أنها خدعة حقًّا يا زعيم ..

ـ اخرس أيها الغبى ..

ابتلع الضخم لسانه ، بينما أخرج (عزرا) من جيبه حاسبًا آليًّا محمولاً فى حجم كف اليد ، وهو يتمتم قائلاً :

ـ لا بأس من الاستعانة ببعض الكلاسيكية ..

واتجه من فوره نحو (خوزيه) نادل البار ، قائلاً فى لهجة تودد :

ـ مرحبًا يا صاح ..

ـ أوامرك !

أشـار (عزرا) نحـو صورتـى (بـول) و (عمـر) المرتسمتين على شاشة الحاسب الآلى ، سائلاً :

ـ هل رأيت أيًا منهما قريبًا ؟!

ـ منذ دقيقة واحدة إن لم يكن أقل ..

عقد (عـزرا) حاجبيـه ، وسـأل مـن جديـد بعـد أن سرى التوتر فى أعصابه :

ـ وأين ذهبا ؟!

ـ ها هما ..

أشار (خوزيه) إلى نقطة خلـف (عزرا) ، فالتـفت الأخير فى سرعة لا إرادية ، ليرى (عمـر) و (بـول) يعدوان خلف رجله الآخر الواقـف أمـام المصعد ، فـى طريقهما من بوابة البـار الأخيرة البعيـدة نحـو الـدرج الهابط من أعلى البرج إلى أسفله ..

ـ تبًا !

دق سطح منضدة البار الرخامية فى غضب ، واندفع خارجًا بعد أن هتف برجله الواقف خلفه فى استكانة :

ـ ابق أنت هنا يـا (شـاؤل) ، وراقـب الوضـع مـن أعلى ، وكن على اتصال معى عبر سماعة الأذن هذه ..

قالهـا وهـو يشـير بسـماعة دقيقـة فـى حجـم زر قميص تختفى داخل ثقب أذنه اليسرى ، ثم تابع لاهثًا :

ـ فربما نجح هذان الوغدان فى الفرار قبل أن نصـل إليهما ..

ـ أمرك يا زعيم ..

اندفـع (عزرا) بعدهـا ، مشيرًا لرجلـه الآخـر أن يتبعه ، ليهبطا خلف (عمر) و (بـول) علـى درجـات سلم برج (إيفل) الطويل ..

ولتبدأ المطاردة ، فوق أعلى قمة باريسية ..

* * *

(٧)

تململ (جاك) فى مقعد السائق داخل السيارة (الليموزين) الفارهة ، وهو ينظر إلى الساعة المثبتة فوق ناقل السرعات ، والتى أشارت إلى الرابعة والنصف تمامًا بتوقيت (باريس) ، مغمغمًا فى تأفف :

- يبدو أن اللقاء سيطول ، هذا ديدن رجال الأعمال مادام الأمر يتعلق بالمزيد من الأموال !

وهز رأسه مواصلاً غمغمته المتأسفة :

- لن تنجح أبدًا يا (جاك) فى هذا المضمار !

ثم التفت برأسه مطالعًا كابينة الهاتف العمومى على جانب الرصيف الآخر ، قائلاً بوجه قد تورد :

- أعتقد أن الوقت يسنح بمكالمة قصيرة للاطمئنان على (آليس) ، مليكة قلبى الوحيدة .. وهز كتفيه مهونًا الأمر على نفسه ، ثم هبط مغلقًا أبواب السيارة خلفه فى إحكام ، ومضى نحو الهاتف وهو يحادث نفسه بصوت خفيض :

- (جاك) و (آليس) .. يا للرنة الموسيقية الشجية !

وعندما اختفى داخل كابينة الهاتف ، كان (عمر) و (بول) ينزلقان عدوًا من ناحية البرج نحو المرآب ، والأخير يحاول جاهدًا اللحاق بخطوات الأول الأشبه بقفز المسافات الطويلة ، هاتفًا وهو يحاول مغالبة لهاثه :

- كانت خدعة رائعة حقًا أيها المصرى ..

- ما الحرب إلا خدعة أيها الفرنسى ..

نظر (بول) خلفه وهو يواصل العدو للأمام ، ثم هتف :

- لم يظهر أى منهم بعد ..

- لن يستغرقوا وقتًا طويلاً حتى يدركوا أننا استقللنا مصعد الطابق الأول ..

- ما لم نسارع نحن بالهرب قبلها ..

- سنفعلها إن شاء الله ..

أنهى (عمر) عبارته أمام السيارة (الليموزين) ، و (بول) يسأله لاهثًا :

ـ أهذه السيارة تخصك ؟!

ـ أجل ، ولكن ..

صمت فى عبوس عندما أدرك أن السيارة مغلقة وسائقها غير موجود ، فالتفت يبحث عنه بعينيه وهو يتمتم فى غيظ من بين أسنانه :

ـ (جاك) أيها الوغد الزنيم !

ـ ما الأمر ؟! أليست مفاتيحها بحوزتك ؟!

ـ كلا ، لقد استأجرتها بسائق خاص !

ـ ماذا ؟! هل تمزح ؟! إنها نهايتنا لا محالة !

ـ اصمت ودعنى أفكر ..

ـ تفكر فى ماذا ؟! إنها النهاية المؤسفة لى ولك .. إذ ..

هتف (عمر) فى حزم وقد اشتعلت عيناه بالثورة :

ـ قلت لك اصمت !

كف (بول) عن ولولته ، بينما أخذ عقل (عمر) يفكر وعيناه لا تستقران على شىء ، حتى استوقفهما مرأى الدراجة البخارية القريبة ..

ـ ماذا عن خبرتك فى فك شفرات أجهزة الإنذار ضد السرقة ..

ـ من أى نوع ؟!

اقتاده (عمر) من معصمه نحو الدراجة البخارية ، قائلاً وهو يشير إلى الجهاز المثبت قرب دواسة تشغيلها :

ـ هذا النوع ..

جثا (بول) على ركبتيه ، قائلاً وقد بدأت أصابعه فى معالجة الجهاز بالفعل :

ـ إنه معقد قليلاً ، لكنى سأحاول ..

التفت (عمر) نحو البرج ، قائلاً فى توتر :

ـ بأقصى سرعة ، هيا ..

وفور إتمام عبارته ، رأى (عزرا) وخلفه الثور البدين عند قاعدة البرج ، وقد أخذا يعدوان نحو المرآب ، فأضاف بالعربية لنفسه فى صوت منخفض لم يسمعه إلا هو :

ـ وإلا فلا مفر من المواجهة المباشرة ، التى لا تعنى إلا خسائر فادحة لجميع الأطراف !

فى نفس اللحظة ، كان الضخم الذى يراقب الموقف من الطابق الثالث للبرج ، يهتف لزعيمه عبر جهاز إرسال صغير فى حجم غطاء قلم جاف :

ـ إنهما يقفان بجوار دراجة بخارية عند المرآب يا زعيم !

عض (عزرا) على شفته السفلى ، وهو يقول فى حنق :

ـ الوغد ، لقد تذكر الآن فقط أن مهمته هى مراقبة الموقف من عل ، وتركنا نضيع وقتًا ثمينًا فى تفتيش الطابق الأول !

قال (شاؤول) وقد علا صوت تنفسه عن صوت حديثه :

ـ إن عقل (ناحوم) أصغر من قدرته على استيعاب هذه التقنيات الحديثة يا زعيم ..

ازداد حنق (عزرا) وهو يهتف به :

ـ واصل العدو وأنت صامت أيها الغبى !

وأرسل بصره نحوهما قائلاً فى تشف :

ـ لقد اقتربنا كثيرًا من الهدف ..

لم يكن يفصله عنهما سوى مائة متر أو أقل ، عندما سأل (عمر) فى توتر متزايد :

ـ هل نجح الأمر ؟!

ـ تقريبًا !

ـ وما معنى هذه الـ (تقريبًا) ؟!

ـ لقد عطلت شفرة عمل جهاز الإنذار ، لكن المحرك لا يستجيب لشفرة التشغيل !

ـ لماذا ؟!

ـ يبدو أن به عطلاً ما !

وأضاف (بول) وقد ارتعشت يداه من فرط الضغط العصبى :

ـ يا للحظ العاثر !!

أمسك (عمر) به من ياقة قميصه الخلفية منحيًا إياه عن الدراجة البخارية ، قائلاً وهو يحدق فى محركها بنظرة لها ألف معنى :

- أنت لا تتخيل كم أمقت التقنيات الحديثة فى هذا العصر ..

وأضاف بعد أن أرسل بصره إلى (عزرا) و (شاؤول) اللذين اقتربا إلى حد لا يصدق ، حتى إنهما قد أصبحا قاب قوسين أو أدنى منهما :

- لذا ، دعنى أتعامل معها بطريقتى الخاصة ..

ورفع قدمه اليمنى ليركل بها المحرك بكل قوته ، وغلب شعور الذهول على شعور الخوف عند (بول) إذ سمع بأذنيه صوت المحرك وهو يعمل ، ورأى بأم عينيه الدراجة البخارية وهى تهتز إيذانًا بالتحرك ، و (عمر) يقفز فوقها هاتفًا به فى سرعة :

- هيا ، اقفز خلفى ..

وبكل ما يملك من نشاط فعل (بول) ، فعاد (عمر) يهتف به آمرًا :

- تشبث بى جيدًا ، فاللعب الحقيقى قد بدأ الآن ..

وانطلقت بهما الدراجة البخارية ، نحو (عزرا) و (شاؤول) !!!

- ماذا تفعل ؟! إننا ..

صرخ (بول) فى فزع وأصابعه تكاد تخترق قفص (عمر) الصدرى متشبثًا به بكل ما تبقى فى جسده من قوة ، فقاطعه الأخير :

- لقد قالها قائدكم العسكرى الأكثر عبقرية (نابليون) منذ عقود خلت ..

وأضاف وهو يزيد من سرعة الدراجة ، وصوت محركها يعلو فى جنون :

- الهجوم خير وسيلة للدفاع !

توقف (عزرا) بغتة عن العدو ، وعيناه تتسعان لمرأى الدراجة البخارية التى تقترب منه حتى إن ارتطامها به يكاد يكون محتومًا ، وتوقف (شاؤول) مثله محاولاً تفادى الاصطدام به من الخلف ، وأخذت الدراجة البخارية تقترب أكثر ، وأكثر ، وأكثر ..

ولم يكن هناك سوى حل واحد لتفادى الارتطام ، وهو بالضبط ما اهتدى إليه (عزرا) ونفذه على الفور دافعًا رجله أمامه فى قفزة جانبية ، ليحتميا فى إحدى السيارات الرابضة داخل المرآب ..

وانطلقت الدراجة البخارية براكبيها بعيدًا ، ونهض (عزرا) نافضًا غبار الأرض عن ملابسه وهو يتابعها بمقت ، عندما أتاه صوت (ناحوم) عبر السماعة الأذنية الدقيقة :

ـ لقد فرا فوق الدراجة البخارية المذكورة يا زعيم !!

رفع (عزرا) بصره نحو قمة البرج مغمغمًا ، وهو يضغط أسنانه حتى يكاد يحطمها :

ـ أقسم أن أقطع لسانك فور رؤيتى إياك أيها اللعين ..

واتجه من فوره نحو سيارة سوداء صغيرة ، على مقربة من الأحداث ، يجلس داخلها (عاموس) عابثًا كعادته بأزرار حاسبه الآلى النقال ، فهتف به فور أن رآه :

ـ اصعد الآن للطابق الثالث ، وخذ جهاز الإرسال من كتلة الغباء (ناحوم) ، لتتابع من أعلى تلك الدراجة البخارية المبتعدة ..

انتفض (عاموس) من فوق مقعده ، هابطًا من السيارة ، متابعًا ببصره الدراجة البخارية المشار إليها ، وقبل أن يهرع نحو البرج مهرولاً أضاف (عزرا)

بمنتهى الجدية والخطورة وهو يتخذ مجلسه أمام المقود :

ـ إياك أن تدعها تغيب عن بصرك لحظة واحدة .. هل فهمت ؟!

ـ طبعًا ، أدون (أهارون) ..

ضغط (عزرا) دواسة الوقود حتى لامست الأرضية ، فانطلق صرير العجلات فوق الأرض الأسفلتية مصحوبًا برائحة احتراق لحظى من أثر الاحتكاك صاحبه بعض الغبار ، ثم انطلق بالسيارة نحو الشارع الرئيسى الذى تسير فيه الدراجة البخارية ، بينما توجه (عاموس) رأسًا نحو البرج فى خطوات راكضة ..

ـ إنه خلفنا داخل (ستروين) سوداء !

قالها (بول) فى لهجة لم تفارقها مشاعر الجزع برغم نجاحهما اللحظى فى الفرار المؤقت ، فقال (عمر) وهو يناور بدراجته بين السيارات فى اختراق ومهارة نادرين :

ـ الدراجة البخارية تمنحنا نقطة تفوق .. إنها أسهل فى الحركة حتمًا ..

ختم عبارته وهو يميل بالدراجة البخارية أمام إحدى السيارات المسرعة ، التى داس قائدها مكابحه بكل قوته ، فأصدرت العجلات صريرها المألوف ، وانطلق بوق السيارة ومن خلفه أبواق سيارات أخرى كثيرة تسير خلفها ، مصحوبًا بأقذع ألفاظ السباب التى تخلو منها قواميس الفرنسية لأسباب تتعلق بأخلاقيات اللغة !

وانطلقت الدراجة البخارية بعيدًا موقفة خلفها حركة المرور فى الشارع ، مما دعا (بول) لأن يطلق صيحة انتشاء عالية وهو يصرخ :

ـ يااااهووو .. لقد فعلناها .. فعلناها ..

ـ لا تفرح كثيرًا ، لم يزل الخطر بأكمله بعد ..

بينما دق (عزرا) بقبضته فوق مقود سيارته وهو يصيح فى سخط عارم :

ـ يا لكما من وغدين .. سأسحقكما .. سأ ..

قاطعه صوت سرى داخل أذنه اليمنى عبر السماعة الدقيقة المثبتة داخلها :

ـ إنهما يسيران فى خط مستقيم عبر الشارع الموازى للنهر ، أدون (أهارون) ..

هتف (عزرا) لنفسه وأصابعه تعتصر المقود :

ـ جيد ، إنه صوت (عاموس) ..

عات حركة المرور تنساب عبر الشارع فى هدوء ، إذ لم يتمخض الأمر عن اصطدامات ، مما دعا (بول) لأن يقول لـ (عمر) وهو يعدل رقبته التى كان قد وجهها للخلف مستطلعًا ما يجرى هناك :

ـ لم يستمر الحال طويلاً ..

ـ هذا ما كنت أتوقعه ..

عاد (بول) ينظر نحو الخلف ، قائلاً :

ـ لكنى لا أرى سيارة (ستروين) سوداء على مرمى البصر ، لا أعتقد أنه سيلحق بنا ..

ـ ومن أدراك ؟! ربما يرانا هو دون أن ندرك نحن ذلك !

قالها (عمر) وعاد يناور بين السيارات من جديد ،

حتى انعطف فجأة عند شارعٍ رئيسى آخر يتقاطع مع ذلك الذى يسيران فيه ، قائلا :

ـ لكنى لا أنفى أن احتمالك وارد بالقطع ..

ـ ماذا تفعل ؟! إنك تسير فى اتجاه معاكس !

ـ وهذا هو المطلوب بالتحديد !

وفى داخل سيارته ، أتى صوت (عاموس) عبر سماعة (عزرا) الأذنية :

ـ ما هذا ؟! إنهما يسيران فى شارع (شيراك) ، ولكن فى اتجاه معاكس للسير !

عبس (عزرا) مفكرًا ، وهو يغمغم فى تساؤل :

ـ ما معنى هذا ؟! هل ؟

وبرقت فى رأسه على الفور الفكرة ، أيدها على الفور قول (عاموس) عبر السماعة :

ـ يبدو أنهما فى الطريق إلى جسر (ميتران) ، أدون (أهارون) ..

ـ رائع ، إليهما إذن يا عزيزتى السمراء ..

قالها مربتًا فوق مقود سيارته ، وبسمة فخر وإعجاب بذكائه ترتسم فوق شفتيه ، ثم أدار المقود نحو شارع آخر جانبى ، وهو يضيف قائلا :

ـ عبر أقصر الطرق إلى (روما) !

أثار مرأى الدراجة البخارية التى تسير عكس التدفق المرورى للشارع ، وبسرعة جنونية مهولة ، الذعر والارتباك بين السائقين والمشاة أيضًا ، فهتف (بول) :

ـ ماذا تفعل بالله عليك ؟!

ـ اصمت !

ـ إنك تثير ضدنا رجال مرور (باريس) كلهم ..

ـ ليس للأبد يا عزيزى ..

قالها وقد شارفت بهما الدراجة على عبور بداية الجسر العتيق فوق نهر (السين) ، فعاد (بول) يسأله :

ـ ما الذى أتى بنا إلى هنا بالتحديد ؟!

ـ قلت لك اصمت ، وابتلع أسئلتك الحمقاء هذه ..

لم ينصع (بول) لأوامره الصارمة هذه المرة ، وإنما أخذ يحاججه قائلاً :

ـ لقد ضللنا مطاردينا بالفعل ، فما الداعى إلى ..

وصمت بغتة مع اتساع عينيه فى فزع رهيب ، عندما رأى (الستروين) السوداء تقترب منهما عند الطرف الآخر للجسر ، وداخلها (عزرا) يزيد من سرعة اقترابها بمزيد من الضغط على دواسة الوقود ، فعاد يولول من جديد ، وقد استبدت به الهستريا :

ـ إنه هناك .. إنه هنا .. كيف عرف ؟! كيـ ..

صمت مرة أخرى ، وقد تضاعف ذهوله عشرات المرات ، عندما أوقف (عمر) الدراجة البخارية جوار رصيف الجسر ، وترجل من فوقها ، بينما السيارة السوداء تواصل اقترابها بقدر استطاعتها ..

ـ هيا ...

ـ هيا ماذا ؟!

ـ سنقفز من فوق الجسر !

ولم يسمح له (عمر) بالتمادى فى الاندهاش ، فانتزعه من فوق الدراجة انتزاعًا ، وجذبه إلى جواره ينظران إلى مياه السين ، التى صبغتها رمادية السماء بلون رائق شفاف ، فى نفس اللحظة التى توقف بها (عزرا) بسيارته على مسافة غير بعيدة منهما ، عندما ارتأت عيناه ما هما بصدد فعله ..

ـ لكنى .. لا أستطيع السباحة !

صعد (عمر) فوق حافة الجسر ، وهو مازال ممسكًا بمعصم (بول) ، هاتفًا به :

ـ سوف أسبح بك ، لا تقلق !

ـ ولكن ..

علت أصوات أبواق سيارات الشرطة المميزة من بعيد ، وهبط (عزرا) مستلاً سلاحه من تحت معطفه الثقيل الداكن فى سرعة ، وهتف بهما مصوبًا إياه نحوهما :

ـ توقفا ، أو سأطلق النار ..

صاح (عمر) بـ (بول) فى إلحاح :



ولم يسمح له (عمر) بالتمادى فى الاندهاش ، فانتزعه من فوق الدراجة انتزاعًا ، وجذبه إلى جواره ينظران إلى مياه السين ..

- هيا يا رجل ، اقفز معى فالوقت ضيق للغاية ..

شل الخوف لسان (بول) فلم يستطع نطقًا ، بل إنه قد شل أطرافه كلها فبات عاجزًا عن الحركة كلية ، والتفت بعينيه نحو (عزرا) المقترب مطلقًا بتهديداته مع تعالى أبواق سيارات الشرطة المقتربة ..

- توقفا ، هذا إنذارى الأخير ..

- هيا يا (بول) ، سأنقذ حياتك ..

تراجع (بول) خطوة للخلف ، واتسعت عيناه حتى كادتا تنفجران وهو يلوح بيديه صائحًا :

- أنا .. لم .. أنا لم ...

- هيّا يا (بول) .. تبًّا ..

ودوى صوت الرصاصة المنطلقة ، وسقط (بول) جثة هامدة بثقب دموى بارز فى منتصف ظهره ، وتوقف الزمن لحظة طويلة عند هذا المشهد ، لحظة أطول بكثير مما هو معتاد ..

التفت (عمر) نحو (عزرا) لتتلاقى أعينهما للمرة الأولى ، واستمر (عزرا) يهدد مصوبًا مسدسه نحوه :

- توقف وإلا ..

نظرة أخرى وأخيرة ألقاها (عمر) على (بول) الذى سقط مضرجًا فى دمائه، نظرة غامت بسحابات الأسف والأسى، قفز بعدها نحو النهر، ليسقط فى مياهه التى ابتلعته تمامًا وأخفته تحت أستارها، بينما تجمدت أصابع (عزرا) فوق مسدسه، وهو يشعر - لأول مرة فى تاريخ عمله بـ (الوحدة ٨٢٠٠) - بالحيرة والعجز عن التصرف ..

إنه لم يطلق الرصاصة التى أصابت (بول)، هو واثق من هذا تمامًا، ولا يرى حوله إلا السيارات العابرة فوق الجسر، لا أحد يحمل مسدسًا يصلح لإطلاق النار، فمن أين جاءت هذه الرصاصة التى عرفت طريقها جيدًا نحو هدفها ؟!

من أين ؟!

صوت أبواق سيارات الشرطة أصبح واضحًا للغاية، لا مفر من أن يلوذ بالفرار، لكنه قبل ذلك اقترب فى خطوات سريعة نحو حافة الجسر، مطالعًا الدوائر الكثيرة التى أحدثها سقوط (عمر) فى قلب المياه، وتمتم فى حنق :

- سنلتقى مرة أخرى أيها المصرى ..

أسرع يعيد مسدسه إلى الجيب السرى داخل بطانة معطفه، وهم بالعودة إلى سيارته السوداء الرابضة على مقربة منه، لكنه قبل أن يفعل، شعر بوخز فى رقبته من الخلف، وقبل أن يعى الأمر، ويفهم مغزاه، كانت المرئيات أمامه قد تشوشت، وسرعان ما مادت به الأرض بعدها، فتهاوى ساقطًا بجوار جثة (بول رينيه) على أرض الجسر، مع ظهور سيارات الشرطة بالفعل قادمة من بعيد ..

★ ★ ★

(٨)

اقترب مفتش المباحث الفرنسى ـ فى خطوات سريعة لم تخل من عصبية ـ من أكبر رجال الشرطة رتبة ، مراقبًا بعينيه المحفة التى يحملها رجلا إسعاف ، والمسجى فوقها جسد (عزرا أهارون) الغائب عن الوعى تمامًا ، ثم تلك الحقيبة الجلدية السوداء التى حوت جسد (رينيه) الصريع ، والتى يقوم أحدهم بإغلاقها مخفيًا إياه داخلها ، وبمجرد وصوله إليه ، وإبرازه تحقيق الشخصية الخاص به ، سأل فى الصرامة المعهودة لدى كل رجال هذا السلك :

ـ ما الذى حدث ها هنا بالضبط ؟!

أشار الضابط بعيدًا نحو برج (إيفل) الذى بدأت أضواؤه تتلألأ فى عتمة ليل (باريس) ، قائلاً يشرح الأمر وهو يشير للـ (ستروين) السوداء ، ثم الدراجة البخارية الرابضة على الترتيب .

ـ لقد بدأ الأمر هناك ياسيدى ، مطاردة بين سيارة ودراجة بخارية انتهت هنا ..

وأشار إلى المحفة ثم إلى الحقيبة الجلدية مواصلاً :

ـ هذا الرجل كان يطارد هذا وآخر عبر الشارع ، وفور وصولهم هنا ، انطلقت رصاصة لتصيب هذا ، بينما يروى الشهود العيان أن الآخر قد قفز إلى (السين) واختفى بعدها تمامًا تحت المياه !

عقد مفتش المباحث حاجبيه وهو يطل برأسه من فوق الجسر ليرى سفينة سياحية تعبر من تحته ، ثم عاد يسأل الضابط مشيرًا لعربة الإسعاف التى اختفى داخلها جسد (أهارون) الراقد فوق المحفة :

ـ وماذا عن هذا ؟!

ـ يقول الطبيب المسعف إنه واقع تحت تأثير مخدر قوى ، سرى فى دمائه عبر جسم دقيق ذى مقدمة حادة مسنونة ، اخترقت رقبته من الخلف ..

لم يستطع عقل المفتش أن يربط بين كل هذه الأمور ، فعاد يسأل الضابط محاولاً التقاط طرف خيط آخر :

ـ هل كان يحمل مسدسًا ؟!

ـ أجل ، لكنه لم يطلق منه رصاصة واحدة ياسيدى !

- وما معنى هذا ؟!

- معناه بكل بساطة أنه لم يقتل هذا الشخص يا سيدى !

أسند المفتش كوعه فوق حافة الجسر سائلاً من جديد :

- وهل تحريتم عنهما ؟!

هز الضابط رأسه بالإيجاب ، وهو يقول :

- بالطبع يا سيدى ، القتيل فرنسى ، يعمل مهندسًا للحاسبات الآلية بمؤسسة (تكنوتل) ، وتدور حوله دائرة شبهات لم يتحدد كنهها بعد ، أما المخدّر فما زال البحث عن هويته جاريًا عبر شبكات المعلومات العالمية ، إذ كان البحث فى نطاق الشبكات الفرنسية ذا نتيجة سلبية يا سيدى ..

- وماذا عن الهارب ؟!

- لم يمكننا الاستدلال عليه ، برغم أننا أرسلنا لكل زوارق الشرطة عبر النهر ، وقمنا بدوريات بحث ما زالت مستمرة عنه ، إلا أنه غير موجود فى نطاق كليومتر تقريبًا ..

عاد المفتش ينظر للنهر ، الذى عبر من أسفله فى تلك اللحظة يخت متوسط الحجم أبيض اللون يحمل على جانبيه اسم أكبر مؤسسات صيد وتعبئة الأسماك فى (أوروبا) كلها ، والضابط يتابع :

- إما أنه سبح تحت الماء لمدة طويلة ، حتى صعد من إحدى ضفتى النهر هاربًا ، وهو احتمال واه لأسباب عديدة ، وإما أنه قد تم انتشاله بوساطة إحدى السفن العابرة فى مياه النهر ، ومن المستحيل بالقطع تفتيشها كلها ، مما يعنى أنه قد نجح فى الإفلات منا بالفعل ..

تابع المفتش بعينيه اليخت فى صمت ، مما دعا الضابط لأن يشير نحوه قائلاً :

- ربما كان على متن هذا اليخت بالفعل ، من يدرى ؟!

لم يكن أى منهما بقادر على أن يتصور أن العبارة كانت تحمل فى طياتها الصحة كلها ..

وإلى حد مدهش !

فعلى متن اليخت كان يقف شاب أسمر البشرة ، أسود العينين ، طويل الشعر أكرته ، تعزف أصابعه

النحيلة فوق آلة موسيقية شرقية تفوح نغماتها بالشجن النبيل ، الناى ، لكنه برغم انشغاله عما حوله بالعزف لتخرج هذه النغمات العذبة المفعمة بعبير السحر والأصالة ، كانت عيناه تتابعان الموقف عن كثب فوق جسر (ميتران) ، حتى قاطعه صوت ينطق بالعربية الأقرب للفصحى :

ـ (رشيد) ، صديقنا يود المغادرة !

نظر (رشيد) نحو الفتى النحيف الذى قطع عليه خلوته ، سائلاً :

ـ حقًا ؟! وكيف عرفت ؟!

ـ لقد بدل ملابسه ، وطلب منى أن أخبرك أنه يود لقاءك قبل المغادرة ..

ناوله (رشيد) الناى ، قائلاً :

ـ ضع هذا فى غرفتى يا (عامر) ، وامنع أى مخلوق على اليخت من الاقتراب من الغرفة التى يسكنها ضيفنا ، حتى ولو كان ضفدعة متطفلة !

هز (عامر) رأسه بالإيجاب ، وغمز لـ (رشيد) قائلاً :

ـ أستطيع تفهم هذا طبعًا !

ابتسم (رشيد) وأسرع بالانطلاق نحو الغرفة المزعومة ، وذكرياته عن الأحداث التى مرت به خلال الساعات الماضية تنساب فى نعومة ـ كجدول رقراق المياه ـ عبر ثنايا عقله ..

كان اليخت راسيًا فى موقعه المعهود من مجرى (السين) ، وهو جالس على حافته يمارس هوايته القديمة فى العزف على الناى ، تلك الهواية التى بدأ فى تعلمها إبان نشأته فى بلده الأصلى (المغرب العربى) ، قبل أن يشب ويهاجر نحو (فرنسا) بحثًا عن مكان أكثر رحابة تحت الشمس ، فعمل سائقًا ليخت نهرى فى مؤسسة كبرى لصيد الأسماك .. لكن ولاءه ظل أبديًا نحو عروبته ، وهو ما جعله يوافق على الفور على أن يكون (نقطة آمنة) لأغلب أجهزة الأمن والمخابرات العربية ، و (النقطة الآمنة) مصطلح استحدثته هذه الأجهزة الأمنية للتعبير عن نقاط معينة يتم اللجوء إليها فى قلب أى مدينة فى العالم ، إذا ما تأزمت الأمور تمامًا ، وأصبحت عصية على أن يتم التعامل معها إلا من خلالها ..(★) لذا فهى محفوظة لدى أى رجل تابع لهذه الأجهزة كـ (عمر زهران) !

(★) هذه المعلومات من وحى الخيال ، ليس لها أساس من الصحة !

كان (رشيد) جالسًا، عندما برز له من سطح المياه الرائقة رأس بشرى حليق، يشهق صاحبه فى قوة محاولاً أخذ ما يستطيع من أكسجين جوى إلى رئتيه، مما وشى بأن هذا الرجل قد سبح تحت الماء كاتمًا أنفاسه لمسافة ليست قصيرة، ولمدة بلغت به حد الاختناق ..

فزع (رشيد)، وانتفض من جلسته حتى إن نايه قد سقط منه فى الماء، إلا أن (عمر) أسرع بتلقفه، وهو يقول بعدما انتظمت أنفاسه قليلاً بفرنسية سليمة:

هلاَ أعطيتنى بعض السمك المجفف ..

كانت كلمة السر المتفق عليها، والتى رد (رشيد) عليها قائلاً بالفرنسية أيضًا:

- السمك المجفف جريمة يعاقب عليها القانون الفرنسى ..

- إلىَّ إذن ببعض فواكه البحر النيئة ..

- لك هذا ..

قالها (رشيد) وهو يلقى إليه بحبل متين لسُمكِهِ الكبير، أمسكه (عمر) بقبضتيه فى قوة وثبات دون

أن يسقط الناى الذى وضعه بين أسنانه، وأخذ يعتلى جدار اليخت المائل بقدميه و (رشيد) يساعده بجذب الحبل إليه من أعلى، حتى صعد (عمر) على متن اليخت فى النهاية، ملقيًا بجسده المنهك فوق أكوام الحبال المعقودة والمتناثرة عند هذا الركن البعيد من مؤخرة اليخت ..

- هل أنت عربى ؟!

سأل (رشيد) وهو يتناول الناى الذى ألقاه (عمر) بجواره، فهز (عمر) رأسه بالإيجاب وقد أسعدته -برغم إرهاقه- لهجتهُ المغربية، وأسعده أكثر كون (النقطة الآمنة) تتضمن عربيًا فى قلب (باريس) ..

- خمنت هذا من اهتمامك بنايى العزيز ..

قالها (رشيد) ماسحًا على خشب الناى المثقوب فى حنان عجيب، فابتسم (عمر) وغالب إرهاقه قائلاً بالعربية:

- وماذا تخمن من لهجتى ؟!

- مصرى بالقطع ..

ثم إنه صعد فوق كومة حبال عالية مستكشفًا ظهر

اليخت الذى خلا من كل الطاقم سوى صديقه الأثير (عامر) ، فهو الغروب على وشك أن يحل ، ولا بد أن الجميع لم يستيقظوا بعد من نوم القيلولة المقدس ، فأشار إلى (عمر) قائلاً :

ـ اتبعنى يا صديقى ..

وقاده إلى غرفة بعيدة على متن اليخت لا يدخلها أحد سواه ، أما (عامر) الذى كان يدرك عمل (رشيد) كـ (نقطة آمنة) ، بل ويساعده عليه ، فآثر أن يتجاهل الأمر تمامًا لولا اقتراب (رشيد) منه هامسًا :

ـ إنه صديق مصرى يا (عامر) ، وكل طلباته مجابة !

ـ أستطيع تفهم هذا طبعًا !

وداخل الغرفة قال (رشيد) مخاطبًا (عمر) بالعربية :

ـ سأتركك لتنال ما تريد من الراحة ، ولديك ما تحتاج إليه من الملابس والغذاء وحاسب آلى نقال يعمل على حساب إنترنت فى نطاق شبكة الاتصالات العربية السرية ..

أخرج (عمر) من داخل معطفه المبتل حاسبه الآلى الصغير الذى يقارب حجم كف اليد ، قائلاً :

ـ لا أعتقد أننى سأحتاج إليه ، فلدى حاسبى الآلى الخاص المضاد للمياه لحسن الحظ !

ـ هذا أفضل بالتأكيد ..

قالها (رشيد) ثم أضاف وهو يهم بالمغادرة :

ـ سأغلق عليك الباب من الخارج ، وما تطلبه سيجيبه لك (عامر) ، سأجعله يلزم باب الغرفة بينما أنظف أنا سطح اليخت من قطرات المياه التى تساقطت منك ، وبالمناسبة ، لا تنس أن تجفف نفسك جيدًا وإلا أصبت بنزلة برد وزكام شديد فى هذا الجو البارد ..

قال (عمر) مبتسمًا فى امتنان :

ـ أشكر لك نصيحتك على كل حال !

كان هذا آخر ما سمعه (رشيد) منه ، قبل أن يترك الغرفة مغلقًا الباب خلفه ، ثم متجهًا إلى (عامر) يأمره بلزوم أن يكون جوار الصديق المصرى ، ثم منظفًا سطح اليخت ، ثم مبحرًا باليخت ـ عبر جهاز القائد الآلى الذى يحفظ مسارات معينة عبر النهر ـ نحو جسر (ميتران) ، ثم جالسًا على كومة أخرى من الحبال ليعزف على الناى مع حمرة الغروب الملونة ببنفسج الأشجان ، وزرقة الرحيل الفاتنة ..

انتهت ذكرياته أمام الغرفة البعيدة ، فأخرج مفتاحه وسارع بالدخول ، ليرى (عمر) فى ملابس الغوص السوداء ، وقد حزم ملابسه الجافة فى كيس من النايلون ، وابتسم قائلاً :

ـ لم يقدر لى أن أصاحبكم أكثر من هذا يا صديقى !

هل انتهت المهمة التى كلفت بها ؟!

أجاب (عمر) فى مرارة :

ـ نعم ، بالفشل الذريع برغم كونها مهمتى الأولى ..

تنحنح (رشيد) ، ثم قال محاولاً ألا يبدو سمجًا :

ـ اعذرنى يا صديقى ، أعلم أن ليس من حقى التدخل فى تفاصيل مهمتك ، ولكنى أتساءل عما إذا ..

صمت ناظرًا نحو (عمر) الذى هز كتفيه قائلاً فى بساطة شديدة :

ـ إذا ماذا ؟!

ـ إذا كان الأمر يتعلق بالشريحة الإلكترونية الخاصة بأسرار (الوحدة ٨٢٠٠) !

عقد (عمر) حاجبيه لائذًا بالصمت ، مما جعل وجه

(رشيد) يصطبغ بحمرة خجل بيِّن ، وهو يقول متلعثمًا من أثر الارتباك :

ـ لـ .. لقد اعتذر ... ت ... عن ...

ـ ماذا تعرف عن هذا الأمر يا (رشيد) ؟!

قالها (عمر) فى صرامة ، وكان يعرف اسم صاحب (النقطة الآمنة) عند هذه المنطقة بالقطع ، فأجابه (رشيد) فى سرعة :

ـ الأمر ليس سرًّا ، إن عرض بيع الشريحة موجود على الشبكة الدولية المفتوحة فى موقع أشهر أسواق الإنترنت التجارية ..

ـ أهذا كل شىء ؟!

ـ بالطبع ، من أين لى بأن أعرف أكثر ؟!

ـ أنت تعلم أننى لن أستطيع أن أجيبك على هذا السؤال ، كل ما يمكننى قوله أن مهمتى قد انتهت ، وأنه صار لزامًا علىّ أن أحزم حقائبى عائدًا إلى وطنى أجر جرًّا أذيال الخيبة ، حاملاً خفى (حنين) ، شا ..

قاطعه صوت الرنين المتقطع الصادر من جهاز

حاسبه الآلى الصغير ، فهرع نحوه مطالعًا شاشته ، ثم غمغم لنفسه فى لهجة تشى بالخطورة :

ـ إنها رسالة بريد إلكترونى عاجلة للغاية ، بدون عنوان للمرسل !

أسرع يضغط أزرار قبول الرسالة ، فانفرد نصها أمامه على الشاشة ، وأخذت عيناه تلتهمان سطورها القصيرة ، قارئًا إياها فى غمغمة سريعة لكنها مسموعة :

ـ « الشريحة مازالت لدى ، لقد تضاعف المبلغ بعد ذهاب (بول) ، ٢٠ مليون يورو أوروبى يتم إيداعها فى حساب بنكى بسويسرا رقم (...) بنك (...) ، وتصلك الشريحة الإلكترونية بالبريد السريع الدولى ، عرض نهائى غير قابل للتفاوض ، الحيازة للدفع الأسرع ..

القرصان الأعور » !!!

انعقد حاجبا (عمر) فى شدة بعد قراءته للتوقيع ، وهتف لنفسه فى اندهاش وعدم تصديق :

ـ ياللشيطان !! إن (بول رينيه) ليس هو (القرصان الأعور) !

وبعفوية لا إرادية التفت نحو (رشيد) سائلاً إياه :

ـ هل تصدق هذا يا ...

وبتر عبارته ، عندما أدرك فجأة أن (رشيد) مجرد (نقطة آمنة) ، وأنه بهذا قد أطلعه على أسرار مهمته ، دون أن يقصد ..

لقد جرفه حماسه ـ بعد أن عرف أن للقصة بقية ، وللأمر ذيول ـ فنسى نفسه ، وارتكب خطأ فادحًا لا يقع فيه أصغر رجل أمن هاو ، لكن المسألة كانت تستحق كل هذا الحماس ..

تستحقه بكل تأكيد ..

★ ★ ★

(٩)

انفتح الباب المعدنى أوتوماتيكيًا ، ليظهر من خلفه شاب وسيم يرتدى ملابس الشرطة الفرنسية الرسمية المميزة ، وخلفه رجل أصلع قصير ذو أنف معقوف مميز ، يرتدى حلة باريسية فاخرة ، وربطة عنق زاهية الألوان ، وعلى ملامحه ارتسمت أقصى علامات التجهم والضيق ..

ـ أمامكما ربع ساعةً فقط !

قالها الشرطى الشاب فى رصانة لم تخل من صرامة ، فخطا القصير نحو الداخل ، وهو ينظر بعينيه الضيقتين إلى الجالس على مقعد برتقالى وحيد فى منتصف الحجرة الضيقة ، والناظر نحوه بعينيه الحادتين ، وقد كسا الجمود ملامحه القاسية ..

إنه الرجل الذى لم يخسر معركة واحدة فى حياته خلال سنوات عمله الطويلة فى (الوحدة ٨٢٠٠) ، (عزرا أهارون) ، يجلس فى هذا المكان لأول مرة فى تاريخه كضابط ناجح !

أغلق الشرطى البوابة المعدنية من خلفه ، أو للدقة ، فبمجرد خروجه انغلقت البوابة خلفه أوتوماتيكيًا ، بينما القصير يقول بنبرة ثابتة خالية من أى مشاعر :

ـ مرحبًا ..

بسمة جانبية ارتسمت فوق شفتى (عزرا) الرفيعتين ، وهو يجيب قائلاً :

ـ مرحبًا ، أدون (إفرام) ..

قال (إفرام) بنفس النبرة المحايدة وهو يضع يديه فى جيبى بنطاله :

ـ ألا تخشى من وجود وسائل مراقبة أو تنصت ها هنا ؟!

ـ أعتقد أن ساعة معصمك قد أخبرتك بالفعل بعدم وجودها ، ثم إنى لم أتفوه بأية أسرار ، إن (باريس) كلها تعرف (إفرام شارون) موظف السفارة الإسرائيلية المرموق ..

صمت (إفرام) هنيهة ، قال بعدها ناقلاً يديه من جيبى بنطاله إلى وسطه :

- حسن ، أدون (أهارون) .. أعتقد أنها أول النقاط السوداء فى سجلك المشرف ، وهذا وحده كفيل ..

قاطعه (عزرا) فى حدة :

- المهمة لم تنته بعد ، أدون (إفرام) ..

رفع (إفرام) حاجبيه وقال فى لهجة مستفزة عاقدًا ساعديه أمام صدره :

- حقًّا ؟! ومن أدراك ؟! لقد قفز المصرى أمامك من فوق جسر (ميتران) قبل أن يخر الفرنسى اللعين صريعًا ، كيف نعلم أن الشريحة الإلكترونية لم تكن معه ؟!

احتقن وجه (عزرا) وهو يتلقى تقريعًا كهذا لأول مرة فى حياته ، بينما أشار (إفرام) بسبابته نحوه قائلاً فى محاولة للضغط على أعصابه أكثر :

- لا تنكر يا عزيزى أن وضعك فى غاية الحرج ..

اعتصرت قبضتا (عزرا) مسندى المقعد البلاستيكى الذى يجلس فوقه ، وبرزت عظام فكه وهو يضغط على أسنانه حتى كادت تتحطم داخل فمه المغلق ، بينما زفر (إفرام) فى قوة ، ثم قال وهو يفرك راحتيه ببعضهما :

- ومع هذا ، فقد رأت قيادات (الوحدة ٨٢٠٠) العليا أن نمنحك فرصة أخيرة ، لتثبت بها أن ما حدث كان مجرد كبوة لجواد أصيل ، خاصة وأن ذلك المصرى الذى وصلتك ووصلتنا بيانات تفصيلية عنه من مصدر مجهول ، لم يغادر (باريس) بعد عبر القنوات الرسمية ، ولم يظهر له أثر قرب السفارة المصرية ، مما يعنى أن هناك احتمالاً ضئيلاً لا يجاوز العشرة بالمئة أن يكون فشل هو الآخر فى العثور على الشريحة ، ولو كان قد حصل عليها بالفعل فمهمتك أصعب ألف مرة ، لأن معنى هذا أنك ستضطر إلى مواجهته واقتناصها منه ، قبل أن يغادر (باريس) ، بأى ثمن وأية وسيلة !

ولوح بسبابته قائلاً كمعلم يقسو على تلميذ خائب :

- لا تنس هاتين العبارتين أبدًا يا (أهارون) ، أى ثمن ، وأية وسيلة ..

قال (عزرا) وجسده يكاد ينتفض من فرط العصبية :

- سأفعل يا أدون (إفارم) ، انقل هذا الوعد للرؤساء ، وأخبرهم أن وعود (عزرا أهارون) لهى أضمن من أفضل صك أمان ..

مط (إفرام) شفتيه وقال ملوحًا بيديه :

ـ من الأفضل أن تفعل يـا أدون (أهـارون) ، لأنـك لو لم تفعل فستخسر الكثير حقًا ، ربما أكثر مما تتصور ..

واستطرد قائلاً :

ـ لقد راهنت عليك قيادات الوحـدة بخطـة لتهريبـك لم تستخدم من قبل ، ربما تثير ضدنا زوابـع كثـيرة نحن فى أشد الغنى عنها ، مما سيضطرنا لمواجهتها إعلاميًا وجماهيريًا بطريقة تخدم مصالحنا كالمعتـاد ، لكن هذا يعنى ـ كما تعلم ـ المزيد من الأموال والمجهود والـ ..

قاطعه صوت (عزرا) الذى يغلى كمرجل بخارى :

ـ أدون (إفرام) ، لم يبق لدينا سوى خمس دقـائق ، أظنهـا أثمـن مـن أن نقضيهـا فـى ثرثـرة لا طـائل مـن ورائها ..

مط (إفراط) شفتيه مرة أخرى وقد ضايقته مقاطعـة (عزرا) له على هذا النحو ، لكنه هز كتفيه قـائلاً فـى تسليم :

ـ أنت محق على أية حال ..

ثم نظر إلى ساعة معصمه ، قائلاً :

ـ ولابد أن (عاموس) قد قام بدوره الآن على خير ما يرام ..

عقد (عزرا) حاجبيه سائلاً فى دهشة :

ـ (عاموس موردخاى) ، خبير التقنيات الحديثة الذى يعمل معى ؟!

ـ هو بعينه !!

سأل (عزرا) فى دهشة أشد :

ـ وما علاقته بخطة تهريبى من هنا ؟!

أجابه (إفرام) فى بساطة :

ـ إنه عصب الخطة كلها ، ولو فشل فى إتمـام دوره فيها ، وهو دور رئيسى حقًا ، فسنذهب معًا أنا وأنت فى رحلة طويلة خلف قضبان السجون الفرنسية !

ثم إنه أضاف فى نفس البساطة ، هازًا كتفيه :

ـ لكنى لا أعتقد أنه سيفشل على أية حال ..

وانطلق يشرح له الخطة بإسهاب ، فى نفس اللحظـة التى كـان فيهـا المفتـش الفرنسـى الـذى تـابع القضيـة فوق جسر (ميتران) يهبط درجات طويلة تصل ما بين

الطابق العلوى والطابق السفلى للمخفر الفرنسى الذى تدور فيه الأحداث ، متجهًا نحو الضابط الشاب الذى اقتاد (إفرام) لزيارة (عزرا) ، ليقول له بلهجته الرصينة :

ـ سمعت أن زائرًا قد أتى لزيارة ذلك الشخص المجهول الهوية الذى عثرنا عليه مخدرًا فوق الجسر بجوار جثة (بول رينيه) ..

هز الضابط رأسه بالإيجاب وهو يقول مسرعًا :

ـ هذا صحيح يا سيدى ، لكنه لم يعد مجهول الهوية كما ذكرت ..

عبس المفتش سائلاً فى ريبة :

ـ ماذا تعنى ؟!

أشار الضابط إلى شاشة حاسب آلى قريب ارتسمت فوقها صورة ثلاثية الأبعاد لـ (عزرا أهارون) ، تعلوها لافتة بيضاء مرسوم عليها (نجمة داوود) فى وضوح ، وتتراص أسفلها بيانات كثيرة ، ثم استطرد قائلاً وهو يسير أمامه نحو الشاشة :

ـ بمجرد قدوم الزائر الإسرائيلى ، قام خبراء البحث

الشبكى لدينا بالإبحار عبر شبكة المعلومات الخاصة بالسفارة الإسرائيلية فى (باريس) ، وعثرنا على ما يفيد كونه موظفًا مرموقًا بالسفارة يدعى (إيلى آمنون) ..

توقف أمام الحاسب الآلى والمفتش يرمق الصورة بنظرات عميقة ، ثم سأل وهو يحك ذقنه محاولاً كبح جماح ثورة الشك المندلعة فى أعماقه :

ـ وماذا عن الزائر ؟!

ضغط الشرطى بعض الأزرار على لوحة المفاتيح قائلاً :

ـ اسمه (إفرام شارون) ، موظف آخر بالسفارة نفسها ، وقد ...

بتر عبارته وهو يحدق فى الشاشة متسائلاً :

ـ ما هذا ؟!

كان سؤالاً يموج بالدهشة والاستنكار وعدم الفهم ، أطل من عينى المفتش هو الآخر إذ حدق فى الشاشة فاغرًا فاه ، فالبيانات المتراصة التى أطلت عبر الشاشة ، والخاصة بـ (إفرام شارون) كانت واضحة ودقيقة تمامًا ، ولكن الصورة التى جاورتها كانت تخص

(عزرا أهارون) ، نفس الصورة التى كانت أمامهما منذ قليل ببيانات (إيلى آمنون) الزائفة !

ـ لابد أن هناك خطأ ما ..

قالها الضابط معاودًا ضغط بعض الأزرار ، والمفتش يرد عليه قائلاً :

ـ أو خدعة ما !

وقبل أن يتم عبارته ، كانت الخدعة قد اتضحت تمامًا ، إذا كانت بيانات (إيلى آمنون) تتراص بجوار صورة لرجل أصلع ذى أنف معقوف مميز ، اسمه الحقيقى (إفرام شارون) ، وكان قد أتى فى زيارة منذ ربع ساعة بالضبط ، أشارت الساعة الرقمية فى صدر قاعة المخفر الفسيحة إلى انتهائها ..

ـ يا للشيطان !

قالها المفتش مغمغمًا ذاهلاً وقد استوعب عقله اللعبة التى خطط لها دواهى (الوحدة ٨٢٠٠) ، وما هى إلا ثوان حتى كان الباب المعدنى الأوتوماتيكى لغرفة الزيارة ينفتح مطلاً من خلفه (عزرا أهارون) ، مرتديًا حلة باريسية فاخرة ، وربطة عنق زاهية الألوان ،

وعلى الكرسى البرتقالى الوحيد فى منتصف الحجرة يجلس (إفرام شارون) بصلعته اللامعة وأنفه المعقوف المميز مرتديًا معطفًا داكنًا متسخًا ، هو عين الذى كان (عزرا) يرتديه قبل الربع ساعة ..

ـ للأسف ، انتهى وقت الزيارة بسرعة ..

قالها (عزرا) فى لهجة ساخرة وهو يرمق الضابط الشاب الذى ألجم الذهول لسانه ، ثم المفتش الذى كادت وجنتاه تنفجران بالدم المغلى ..

ـ وبالمناسبة ، ياحضرة المفتش ، إننا نطالب بالإفراج عن مواطننا البرىء ، ونتهم (بول رينيه) باختطافه وتخديره قبل أن يلقى مصرعه لأسباب لانعرفها ..

أفاق الضابط الشاب هاتفًا ، كأنه يتشبث بالخيط الأخير الذى يثبت كونه عاقلاً :

ـ ولكن بطاقة هوية ذلك الشخص مازالت معى ..

كان يقصد (إفرام شارون) الذى أعطاه بطاقة هويته قبل السماح له بالزيارة كما تقتضى الضوابط ، وأسرع يخرجها من جيبه ناظرًا إليها ، لكنه شهق وذهوله يتضاعف إذ كانت تحمل صورة (عزرا أهارون) بما لا يدع مجالاً لذرة شك فى كونها لاتخصه ..

ـ يبدو أنك فى حاجة لزيارة طبيب عيون متخصص يا صديقى ..

قالها (عزرا) وابتسامته تتسع ، والتقط بطاقة الهوية من بين أصابع الضابط الشاب المرتجفة ، ثم التفت نحو (إفرام) ، هاتفًا فى لهجة مسرحية مبالغ فيها :

ـ لا تخش شيئًا يا عزيزى (إيلى) ، ستكون لدينا صباح الغد على الأكثر ، سأرسل لك كتيبة من أكفأ المحامين ..

ثم التفت نحو الضابط والمفتش من جديد ، قائلاً وهو يشير بيده الممسكة ببطاقة الهوية ، ربما لكى يستفزهما أكثر :

ـ والأفضل أن تحسنوا معاملة مواطننا وإلا أرسلنا شكوى دبلوماسية أنيقة إلى وزارة الخارجية الخاصة بكم ، نحن لا نمزح فى مثل هذه الأمور ..

وأعاد بطاقته إلى جيبه قبل أن يقول وهو يهم بمغادرة المكان :

ـ إلى اللقاء يا أصدقائى ..

ثم قفل مبتعدًا نحو البوابة الخارجية الزجاجية ، والمفتش يتابعه بعينيه حتى ركب السيارة السوداء التى كانت تنتظره بالخارج ، وهو يغمغم لنفسه فى أسى :

ـ يا إلهى ! هل اخترقونا إلى هذا الحد ؟!

واعتصر قبضته هاتفًا لنفسه بصوت لم يسمعه إلا هو ، وهو يلمح الضابط الشاب الذى تمالك نفسه وأسرع يقتاد (إفرام) نحو زنزانته مسلمًا بالأمر الواقع :

ـ لكنى لن أسكت على هذا .. لن أسكت أبدًا !

أما (عزرا) ، فقد أخرج البطاقة من جيبه وهو يقود سيارته عبر شوارع (باريس) التى بدأ زحام المساء يشتد فيها ، مبتسمًا فى إعجاب وهو يقلبها فى كفه مغمغمًا :

ـ يا لك من عبقرى يا (عاموس) !

وحدق فى صورته التى كانت تغطيها ـ عند دخول (إفرام) وإبرازه إياها للضابط ـ صورة (إفرام) ، لكنها تحولت إلى رقائق صغيرة متفتتة فور ملامسة أصابع

الضابط لها فى أثناء إخراجه إياها من جيبه ، ليحل محلها وجه (عزرا) الثابت فى صورة مطبوعة بالليزر ، ثم إنه ألقاها جواره مغمغمًا لنفسه ، وقد تبدلت ملامحه الباسمة إلى أخرى مفعمة بالتحدى والرغبة فى الانتقام :

- والآن ، سنرى من يكسب هذه الجولة ..

ضغط دواسة الوقود أكثر ، وانطلقت السيارة به إلى حيث لا يعلم أحد إلا هو ..

إنه لن يسمح لنفسه بالفشل أبدًا ، سيبقى ناصع البياض حافلاً بالانتصارات وحدها ، بأى وسيلة ، وأى ثمن ..

لا تنس هذين العبارتين أبدًا يا (أهارون) ..

بأى وسيلة ..

وأى ثمن ..

* * *

(١٠)

البضاعة لا تساوى قيمة المبلغ المطلوب ، تم إلغاء الصفقة ، احزم حقائبك وعد فورًا ، ننتظرك على طائرة منتصف الليل ..

المخلصون ؟

- تبًّا .. تبًّا .. تبًّا !

لفظها (عمر) فى غيظ شديد ، وغضب أشد ، وهو يضرب قبضتيه ببعضهما فور انتهائه من قراءة الرسالة التى وصلته من (المكتب ١٧) ، وهى عادته كلما استبدت به نيران الثورة إثر هزيمة ما ، حتى لو كانت هزيمة من وجهة نظره هو فقط !

- هكذا إذن ؟! أحضر إلى (باريس) وأعود منها خالى الوفاض كما دخلتها ، محرزًا فشلاً ذريعًا فى أول مهمة يعهدون بها إلىَّ ؟!

كان يؤنب نفسه بصوت مسموع ، وأصابعه تدق فوق سطح المنضدة الخشبية الخالية إلا من حاسبه الآلى

الصغير ، الذى أطلت الرسالة الإلكترونية عبر شاشته ، وأخذ صوته يعلو ويعلو وهو يجادل نفسه قائلاً :

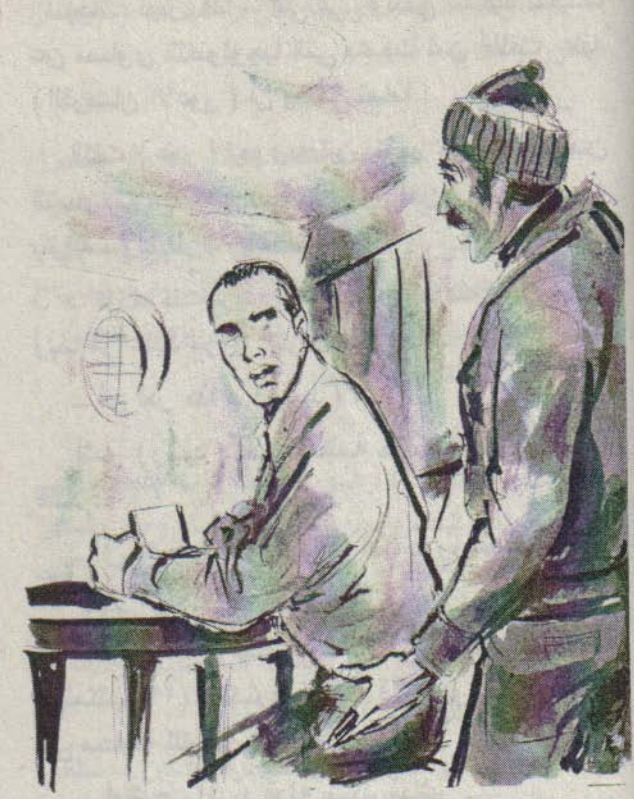
ـ وماذا بوسعى أن أفعل أكثر مما فعلت ؟! إنها التكنولوجيا اللعينة التى سمحت لوغد مأفون كهذا (القرصان الأعور) أن يختفى بهذه الصورة ويكتفى بملاعبتنا من بعيد عبر الأسلاك وعبر الأثير دون أن نجد وسيلة مناسبة تمكننا من تتبعه والاستدلال عليه ، لو كنا فى العهد الغابر لما تمكن من الاختفاء ، ولعثرت عليه ولو كان فى بطن الحوت !

سمع الباب يفتح من خلفه فور انتهائه من حديثه الخاص مع نفسه ، فالتفت فى سرعة ليرى (رشيد) وهو يدلف الغرفة قائلاً فى محاولة جاهدة لأن يبدو غير مضطرب :

ـ معذرة يا صديقى المصرى ، لم أقصد التجسس عليك ، ولكن ...

لوح (عمر) بيده فى خيبة أمل ، ودفن وجهه بين راحتيه قائلاً فى يأس :

ـ لا عليك يا (رشيد) ، لقد انتهت مهمتى رسميًا بالفعل ..



فالتفت فى سرعة ليرى (رشيد) وهو يدلف إلى الغرفة قائلاً فى محاولة جاهدة لأن يبدو غير مطرب :- معذرة يا صديقى المصرى ..

إحم .. ليس هذا ما أتى بى ، ولكنى سمعتك تتحدث عن مساوئ التكنولوجيا التى سمحت لمن أطلقت عليه (القرصان الأعور) أن يختفى تمامًا ..

التفت (عمر) نحوه بعينين يتفجر منهما نهر من التساؤلات ، فتنحنح (رشيد) مرة أخرى قائلاً وحرجه يتزايد ، واضطرابه يتعاظم :

ـ كل ما كنت أريده هو لفت انتباهك لأمر بسيط ربما مر عليك مرور الكرام ..

ـ أى أمر هذا يا (رشيد) ؟!

أشار (رشيد) نحو شاشة حاسبه الآلى الصغير قائلاً :

ـ أن تكون التكنولوجيا قد أدت دورًا عكسيًّا تمامًا لما يدور فى خلدك بشأنها ..

نظر (عمر) نحو الشاشة التى تحتلها رسالة (المكتب ١٧) الإلكترونية ، ثم قال وهو يضيق عينيه فى محاولة للتركيز :

ـ أوضح ما تريد قوله بشكل مباشر ..

سأله (رشيد) :

ـ أما زلت محتفظًا بالرسالة التى أرسلها لك (القرصان الأعور) هذا منذ قليل ؟!

ـ بالطبع ..

قالها (عمر) وهو يضغط بعض الأزرار فتبرز الرسالة الإلكترونية التى يتحدثان عنها ، ويحتل نصها مساحة الشاشة إلا ذلك المستطيل الصغير أسفلها ، والذى تتراص فيه أفقيًّا أيقونات البرامج المتاح استخدامها عبر الشاشة حاليًّا ، ثم أردف (عمر) مشيرًا إلى الشاشة بسبابته :

ـ ها هى ذى ..

ابتسم (رشيد) وهو يقترب منه محدقًا فى الشاشة ، ثم انحنى بجواره سائلاً إياه وهو يشير بإصبعه إلى المستطيل البارز أسفل الشاشة ، وإلى أيقونة معنية فيه بالتحديد ، بقوله :

ـ ألم تلاحظ وجود هذه الأيقونة المصاحبة للرسالة ؟!

ـ بلى ، ولكنها مجرّد ...

ـ أدرى ما تود قوله ، إنها مجرد إعلان مصاحب للرسالة من المكان الذى أرسلت منه ، هلا ضغطت فوقها وأبرزتها فوق الشاشة من فضلك ؟!

فعل (عمر) مثلما قال، فبرزت مساحة صغيرة فوق الشاشة تحمل فى وضوح اسم مؤسسة (ماربل للاتصالات)، مع بعض الشعارات الدعائية المستهلكة ..

ـ لعلك فهمت الآن ما أعنيه ..

حدق (عمر) فى المساحة الإعلانية وألف نقطة مضيئة تبرز فى ظلمة أفكاره، يفسرها له، ويربط بينها (رشيد) الذى استطرد شارحًا فكرته :

ـ إن مؤسسة (ماربل) لا تقدم هذه الخدمة إلا لموظفيها والعاملين بها، أى أن الرسالة قد أرسلت من حاسب آلى تابع لهذه المؤسسة، وعبر المزود الخاص بها، وإذا ما فكرنا فى أن نربط بين هذا وبين (بول رينيه) ..

التفت نحوه (عمر) فى حدة على ذكره للاسم، فهز (رشيد) كتفيه، ثم قال باسمًا :

ـ إن خبر موته منشور فى أغلب مواقع الشبكة الفرنسية الإخبارية ..

ثم إنه تابع دون أن يلقى بالاً لاندهاش (عمر) :

ـ أقول إن (بول رينيه) كان مهندسًا بشركة

(تكنوتل) للتقنيات الحديثة، وإذا راجعنا الخريطة الاقتصادية لمؤسسات (فرنسا) لوجدنا أن (ماربل) تعد فرعًا صغيرًا من شجرة كبيرة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تدعى (تكنوتل) ..

هز (عمر) رأسه قائلاً فى لهجة اكتشاف :

ـ أى أن (ماربل) تمارس نشاطها تحت مظلة (تكنوتل) ..

ـ تمامًا، لذا فثمة خيط خفى يربط بين (بول رينيه)، وشخص آخر يعمل فى (ماربل) هو من أرسل هذه الرسالة إلينا ..

لاحت نظرة إعجاب وتعجب فى عينى (عمر) وهو يلكم (رشيد) فى كتفه مازحًا بقوله :

ـ أنت عبقرى حقًا يا رجل ..

ـ يجب أن تتأقلم مع روح العصر حتى تعمل وتفكر بمنطقه ..

قال (عمر) ممتعضًا :

ـ هذه النقطة أفتقدها حقًا ..

ـ بقيت نقطة مهمة ..

ـ هذا صحيح ، معرفة هوية رجل (ماربل) ..

ـ تمامًا ، بالبحث عن سجل العاملين بالمؤسسة يمكنك الوصول إليه ..

فرقع (عمر) بإصبعيه السبابة والإبهام ، وقال ضاغطًا أزرار حاسبه الآلى فى سرعة :

ـ لدى حل أكثر توفيرًا للوقت ، وأكثر تناغمًا مع روح العصر ..

لاحظ (رشيد) ما يفعله (عمر) بمتابعته للتغيرات فوق شاشة الحاسب الآلى الصغيرة ، ولما أدرك ما يعنيه ابتسم قائلاً له :

ـ وتقول إن التأقلم مع روح العصر ينقصك ؟!

ـ كنت سأفضل الأساليب الكلاسيكية القديمة لولا أننى مضطر لمواكبة التغيرات !

قالها ثم أسند ذقنه فوق راحته ، وهو يقول متابعًا :

ـ لننتظر نتيجة البحث ..

ـ لن يستغرق الأمر ثوانى معدودة ..

كانا يتحدثان بشأن برنامج (المضاهاة matching) الذى استخدمه (عمر) ، وقد غذاه بكل تفاصيل حياة

(بول رينيه) ، وأطلقه عبر سجلات العاملين بمؤسسة (ماربل) ، ليضاهى هذه التفاصيل بتلك ، وأخرى ، وأخرى ، حتى يخرج بنتيجة مكونة من عدد قليل من الأشخاص تتشابه تفاصيل حياتهم مع تفاصيل حياة (بول رينيه) بنسب مختلفة يحددها الحاسب الآلى بعملياته الرقمية ، وصاحب أعلى نسبة مضاهاة هو بالتأكيد الهدف المنشود ..

مرت الثوانى بطيئة ، ثقيلة ، مشحونة بالعجلة والتوتر ، حتى برزت عبارة مصحوبة برنة إلكترونية مميزة فوق الشاشة (انتهت عملية المضاهاة) ، وأسرعت أصابع (عمر) تقفز بين الأزرار ، لتتراص على الشاشة مجموعة أسماء وبجوارها نسب المضاهاة المختلفة ..

ـ (ريمون هوى) ، النسبة ٧٩٪

ـ تبدو نسبة مقبولة بالفعل !

شرع (عمر) يقرأ بعينيه التفاصيل الخاصة بهذا الرجل ، وفوجئ (رشيد) به يمط شفتيه ، ثم يقول فى خيبة أمل :

ـ كلا .. لا يصلح لأن يكون رجلنا المنشود ..

- ولِمَ ؟!

- إنه فى (جنوب إفريقيا) منذ ثلاثة أسابيع حتى هذه اللحظة !

فهم (رشيد) على الفور ما يرمى إليه ، فمستحيل بالقطع أن يرسل برسالة إلكترونية مصحوبة بإعلان (ماربل) وهو خارج مبنى المؤسسة ، فعاد يشير إلى الثانى قائلاً :

- وماذا عن هذا ؟!

- (جون ميشيل) ، النسبة ٥٣٪

قال (رشيد) فى لهجة أقرب للهزل :

- إنه ناجح على أية حال !

- هذا هو ذا رجلنا المنشود يا (رشيد) ..

قالها (عمر) فى حسم وهو ينهض داقًا سطح المنضدة بقبضتيه ، فعقد (رشيد) حاجبيه ناظرًا نحو الشاشة سائلاً فى دهشة :

- وكيف تأكدت بهذه السرعة ؟!

- انظر لخانة الحالة الصحية ..

مر (رشيد) بعينيه فوق السطور مسرعًا ، وهو يقرأ بصوت مسموع :

- ... أجرى جراحة دقيقة فى إحدى عينيه (اليسرى بالتحديد) ، ليستبدل بها عينًا زجاجية بعد إصابته بسرطان الشبكية عام ...

- إنه أعور بالفعل ، وليس على طريقة العصور الوسطى كما فعل (بول رينيه) ..

وضرب (عمر) قبضته فى راحته وهو يردف قائلاً :

- وهو يسكن بجوار (بول) ، مما يتيح فرصة عظيمة لأن يكونا أصدقاء ..

- لكنه أكبر منه سنًا بعشرة أعوام على الأقل ..

برقت عينا (عمر) وهو يقول مفسرًا استنتاجاته اللحظية :

- وهذا يتيح فرصة أكبر لكى يمارس سيطرته وسيادته الفكرية والعاطفية عليه ..

ونظر إلى ساعة معصمه التى أشارت للثامنة وخمس دقائق مساءً ، قبل أن يغمغم قائلاً :

- مازال هناك متسع من الوقت قبل طائرة منتصف الليل ..

- ستذهب إليه ؟!

- بالطبع ، إنه الخيط الأخير ..

ونظر إلى (رشيد) فى امتنان شديد وهو يتابع :

- ولولاك يا صديقى لما استطعت الوصول إليه ، أشكرك ...

- لا شكر على واجب يا صديقى ..

ثم تنحنح كعادته كلما اعتوره حرج ، وهو يسأل :

- ألن يتسنى لى معرفة اسمك ؟!

صمت (عمر) قليلاً ، ثم أجاب :

- فى هذه الظروف المعقدة ، كلا .. ربما نلتقى مرة أخرى ، وأخبرك باسمى فى المرة القادمة ، من يدرى يا صديقى ؟!

- نعم .. أنت محق ، من يدرى ؟!

أغلق (عمر) حاسبه الآلى الصغير ، ودفنه فى كيس النايلون بين ملابسه الجافة ، وهو يقول لـ (رشيد) فى لهجة جادة :

- قدنى إلى الخارج إذن ..

ودون أن ينطق (رشيد) امتثل للأمر ، ففتح باب الحجرة ، وخرج متلفتاً حتى يضمن عدم وجود أحد ، ليعود مقتادًا (عمر) نحو حافة اليخت ، فيغوص هذا الأخير فى قلب المياه الباردة شاقًّا طريقه بمعرفته ..

وفى خضم كل هذا ، لم ينتبه أى منهما بالطبع لمن كان يصيخ لحوارهما السمع منذ بدايته فى الخارج ، ولم ينتبه (رشيد) قطعًا لصديقه النحيف (عامر) ، الذى كان يتحدث بصوت منخفض للغاية ، عبر هاتف خلوى صغير ، بينما الأول يقتاد (عمر) نحو حافة النهر ..

حديث خاص جدًّا ، من نوع خاص جدًّا .. جدًّا ..

* * *

(١١)

ـ كنت رائعًا بحق ، عزيزى (عاموس) ..

قالها (عزرا) نافثًا دخان سيجارته أمام الشرفة الزجاجية المطلة على (الشانزليزيه) ، سابحًا بعينيه فى المجهول ، محاولاً سبر أغواره ، وكشف أستاره ، فهز (عاموس) كتفيه قائلاً وهو يرتدى مسوح التواضع :

ـ كانت خطة بسيطة للغاية ، أدون (أهارون) .

وأشار بسبابته إلى صدغه مستطردًا :

ـ لقد فكرت أن أول ما سيفعله هؤلاء الأغبياء بمجرد زيارة أدون (إفرام) لك فى المخفر ، أنهم سيأخذون منه بطاقة هويته ، ثم يبحثون عن بيانات عنك وعنه فى شبكة سفارتنا هنا ، كان الأمر الثانى هيّنًا ، فقد اقتدناهم نحونا وصنعنا ملفات زائفة لك كموظف فى السفارة تحت اسم (إيلى آمنون) ، لكننا قمنا بصنع صورة من طبقتين ، لتتلاشى الطبقة العلوية فى وقت محدد هو تمام ميعاد انتهاء الزيارة ، فتظهر

الصورة السفلية الخاصة بأدون (إفرام) الذى حل محلك داخل المخفر ، وفعلنا نفس الشىء مع ملف أدون (إفرام) ، فحلت صورتك محل صورته فى نفس الوقت بالضبط ..

صمت هنيهة يلتقط فيها أنفاسه ، ثم عاد يقول ممسكًا بالبطاقة الموضوعة أمامه فوق المنضدة :

ـ الصعوبة كلها كانت فى بطاقة الهوية ، لكنى ـ فى وقت قياسى ـ استطعت لصق صورة أدون (إفرام) فوق صورتك الليزرية الثابتة ، من مادة تتفتت متحولة إلى ذرات فور أى ملامسة مباشرة لها ..

ثم ابتسم غائصًا فى مقعده ، وهو يقول فى تلذذ :

ـ لابد أنهم سيصابون بالجنون الآن !

تركه (عزرا) يثرثر كما يحلو له ، دون أن يلقى أذنًا منصتة إليه ، فقد كان شاردًا يفكر فى الخطوة التالية ، وفيما ستحمله الساعات القادمة التى تبدو حالكة الظلمة ، ملبدة بالغيوم ، كليل (باريس) الشتوى ، من أمور عظام ..

ـ أين الوغدان (شاؤل) و (ناحوم) ؟!

ـ إنهما أسفل البناية ، أدون (أهارون) ..

ـ لم أر لهما أثرًا منذ مجيئى ..

هز (عاموس) كتفيه ، قائلاً فى استهانة :

ـ ربما كانا يتناولان طعام العشاء فى المطعم القريب ، إنها الثامنة والربع الآن و ...

قاطعه هتاف (عزرا) المستشيط غضبًا :

ـ سأمزقهما إربًا بيدى العاريتين هاتين ..

سأله (عاموس) فى اهتمام :

ـ هدئ من روعك ، أدون (أهارون) .

هل نويت القيام بهجوم جديد ؟!

ـ عن أى هجوم تتحدث ؟! لقد لقى (بول رينيه) خيطنا الأخير مصرعه فوق الجسر ، وفر المصرى اللعين كالزئبق بلا أثر ، ولم يعد أمامنا سوى حل من اثنين ، إما انتظار معجزة أخرى مجهولة المصدر تحمل لنا المعلومات الجديدة ، أو أن نتخبط فى ظلمة جهلنا بما يدور حولنا ..

هم (عاموس) بقول شىء ما ، لكن (عزرا) عاود هتافه العالى النبرة :

ـ لكنى لن أقف هكذا للأبد ، لن يعدم (عزرا أهارون) أبدًا حيلة أو وسيلة تبلغه إلى ما يصبو إليه ، ولو كان فريسة طرية بين أنياب ليث جائع ، سأقلب (باريس) كلها ، سأفتشها منزلاً منزلاً إن لزم الأمر ، بل وشبرًا شبرًا إن لم يكن أمامى حل آخر ..

تنحنح (عاموس) قبل أن يقول إذ تأكد من انتهاء (عزرا) من نوبته العصبية هذه :

ـ قد نكون فى غنى عن هذه الحلول المستحيلة ، أدون (أهارون) .

التفت نحوه (عزرا) بعينين متسائلتين ، فقال محاولاً انتقاء ألفاظه :

ـ يبدو أنك لم تطّلع على محتويات بريدك الإلكترونى بعد ..

اتسعت عينا (عزرا) وهو يهرع إليه قائلاً فى لهفة :

ـ كلا ، ليس بعد . هل من جديد ؟!

ـ الكثير ، أدون (أهارون) ..

قالها (عاموس) وهو يعتدل فى جلسته أمام حاسبه الآلى المفتوح ، ضاغطًا أزراره فى سرعة محترفين ،

واستطرد إذ جلس (عـزرا) بَجـواره معلقـًا عينيـه بشاشة حاسبه الآلى :

ـ أولاً ، هذه الرسالة الإلكترونية الممهورة بتوقيـع (القرصان الأعور) !

فى ذهول اتسعت عينا (عزرا) أكثر ، وقد ظهر على الشاشة نص الرسالة التى طابقت تمامًا تلك التـى وصلت لـ (عمر) فى يخت الصيد ، يطالب فيها (القرصـان الأعور) بـ ٢٠ مليـون يـورو أوروبـى تحـول علـى حساب بنك سويسرى فى مقابل الشريحة الإلكترونيـة الدقيقة ، و (الحيازة للدفع الأسرع) ..

ـ إذن فهناك قرصان أعور آخر !

قال (عاموس) مصححًا :

ـ أو أن (بول رينيه) ليس هو (القرصـان الأعـور) الحقيقى ..

ـ وماذا هناك أيضًا ؟!

ضغط (عاموس) أزرارًا أخرى ، وهو يبتسم قائلاً :

ـ المعجـزة المجهولـة المصـدر التى تحدثت عنها ، أدون (أهـارون) ، جـاءت هـذه المـرة محملـة بهويـة (القرصان الأعور) الحقيقية ..

ـ (جون ميشيل) !!!

نطق (عزرا) حروف الاسم فـى بطء وهـدوء ، متفرسًا ملامـح الصورة الثلاثيـة الأبعـاد ، التـى كـانت لرجل فى العقد الخامس من العمر ، يزحف الشيب علـى فوديه ، وتكتسى قسماته بهالات الوقار والاحترام ، ثـم التفت إلى (عاموس) سائلاً :

ـ أأنت واثق من كونه هو ؟!

ـ لا أرى لهذه الرسالة معنى آخر ، وأعتقد أن الأولى قد صدقت ..

ـ ربما ...

ـ لقد قلتها بنفسك ، أدون (أهارون) ، لـن تخسـر شيئًا لـو كـان الغرض هو التضليل ، ولكنهـا ستكون خسارة فادحة حقًا لو لم يكن الأمر كذلك !

عاد (عزرا) ينظر نحو الشاشة ، وهو يسأل نفسه فى حيرة ليس لها حدود :

ـ ترى ، من هذا الذى يعابثنا بهذا الشكل ؟!

سأله (عاموس) مخترقًا أفكاره :

ـ هل أرسل لـ (شاؤل) و (ناحوم) حتـى يستعدا لزيارة ليلية مباغتة ؟!

هز (عزرا) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ كلا ، لست فى حاجة إلى مزيد من الأغبياء .. سأقوم بالهجوم منفردًا هذه المرة .. لربما تحققت معجزة أخرى فى هذه الليلة ، وعثرت على الشريحة الإلكترونية بالفعل ..

قالها ثم عاود النظر إلى صورة (جون) أمامه على الشاشة ، محدقًا فى نقطة بعينها فى تفاصيل الصورة التى تدور حول مركزها دون توقف ..

إن عينه اليسرى ليست طبيعية أبدًا ..

إنه أعور ..

قرصان أعور بالفعل !

إن لم يكن هو الفاعل ، فسيدلنى بالتأكيد على قاتل (بول رينيه) ، وعلى من قام بتخديرى فوق الجسر !

وتحسس أثر الندبة الوردية على رقبته من الخلف ، مضيفًا وعيناه تلتمعان فى قسوة :

ـ وسواءً كان هو أو غيره ، فلن أرحمه أبدًا ..

وأضاف فى حسم :

ـ أبدًا !

★ ★ ★

(١٢)

توقفت السيارة الرمادية الصغيرة بحذاء الرصيف ، فى مكان ضيق بين سيارتين رابضتين من أمامها وخلفها ، وأطفأ قائدها ـ الذى يزحف الشيب على فوديه ، وتكتسى قسماته بهالات الوقار والاحترام ـ المحرك ، وهو يلمح قطرات المياه التى تنثرها سحب السماء فوق زجاج سيارته ، لتنداح صانعة أنهارًا دقيقة فوقه ، مغمغمًا لنفسه بالفرنسية ، وبنبرة هادئة اعتاد التحدث بها :

ـ يبدو أنها ستكون ليلة ماطرة !

نظر فى ساعة معصمه التى أشارت للتاسعة إلا الربع ، ثم حمل حقيبته السوداء القابعة فوق المقعد المجاور له ، وهبط من السيارة متجهًا نحو مدخل البناية المواجهة للشارع ، بينما التمع ضوء البرق فى قلب السماء ، وزخات السحب تتزايد رويدًا رويدًا ..

ضم بكفه ياقتى معطفه اتقاءً للبرودة القارسة ، وزاد من سرعة خطواته المتجهة نحو المدخل ، لكنه قبل أن يخطو داخله خطوة واحدة ، شعر بذراع تلتف حول ذراعه الأيسر من الخلف ، وتدفعه للسير نحو الأمام ، وبصوت يقول فى صرامة :

ـ إياك أن ترفع صوتك .. تظاهر بأن كل شىء عادى تماماً ..

وأضاف الصوت نفسه-بعد أن اصطبغ بشىء من السخرية :

ـ أم أنك لا تحب التنزه تحت المطر ؟!

ـ من أنت ؟!

قالها (جون ميشيل) فى رعب بعد أن وجد نفسه مدفوعاً للسير فى اتجاه لايعرفه ، متأبطاً ذراع شخص لايعرفه ، يتحدث الفرنسية بطلاقة ، ويرتدى معطفاً أسود وقبعة باريسية مائلة إلى اليمين ، لكن الظلام يحفر وجهه غموضاً ورهبة ..

ـ أنت تعرفنى دون شك ، ألست أنت (القرصان الأعور) المزعوم ؟!

وبمجرد انتهائه من عبارته ، التمع فى كبد السماء ضوء البرق مرة أخرى كاشفاً ـ لعين (جون) السليمة ـ ملامح المرافق المجهول ..

ـ أنت المصرى .. أليس كذلك ؟!

ـ رائع ، إن عينك اليمنى تعوضك خيراً عن العين الضائعة !

دق قلب (جون) فى عنف رعباً وهلعاً ، فلم يخطر بباله قط أن يهتدى إليه أحد على هذه الصورة الفاضحة ، وقد انكشف أمره فلا مجال للإنكار بعد اعترافه بمعرفة هوية (عمر زهران) ، لكنه وجد نفسه مدفوعاً لأن يقول ، سائلاً فى جزع :

ـ مـ .. ما .. ذا .. تـ .. تريد ؟!

ـ لا أريد أن أحتسى معك كأساً من (الشمبانيا) قطعاً ..

ـ وكـ .. كـ .. كيف .. عـ .. عـ عر ...

لم يدعه (عمر) يواصل تأتأته المضطربة ، فأسرع يجيبه قائلاً :

ـ لقد قادنى إليك حظى الحسن ، وحتى أقطع أمامك كل سبيل للمناورة ، فأنا أريد الشريحة الإلكترونية الدقيقة التى حمّلت عليها أسرار (الوحدة ٨٢٠٠) ، من سفارتهم فى (جنيف) .. الآن !

حاول (جون) أن يتمالك أعصابه ، فأطلق تنهيدة ساخنة تكاثفت فى شكل سحابة بيضاء من البخار ، وسأل فى محاولة جاهدة أخرى لمنع لسانه من التلعثم ، قائلاً :

ـ و .. والمقابل ؟!

لم يلمح (جون) ابتسامة (عمر) فى الشارع المظلم ، لكنه شعر بها إذ قال الأخير :

يمكننى أن أقول فى مقابل حياتك ، لكنى أجد الشريحة أثمن من هذا فعلاً ، لذا ، اعتبرها فى مقابل عدم إبلاغى عن تورطك فى مقتل تلميذك النجيب (بول رينيه) !

صمت (جون) وقد ارتجفت كل خلية فى جسده ، مما جعل ابتسامة (عمر) الظافرة تتسع فى الظلام ، لقد كانت رمية من غير رام ، وها هوذا أسلوب (الاستدراج) المعهود يثبت فعاليته فى عصر أجهزة كشف الكذب المعقدة ..

هزم الرعد فى كبد السماء الحالكة المظلمة ، وبدأ فى الاقتراب من شوارع (باريس) المضاءة بالنيون الملون ، و (جون) يسأل مستعيدًا ثباته شيئًا فشيئًا :

ـ وهل لديك دليل ضدى ؟!

ـ ربما تعثر الشرطة بنفسها على الدليل إذا ما اتجهت أصابع الاتهام نحوك بالفعل ، إنهم لا يعدمون وسيلة فى سبيل هذا ، عزيزى (جون) ..

حاول (جون) أن يناوره قائلاً :

ـ ماذا لو قلنا خمسة ملايين يورو ..

ضحك (عمر) ضحكة ساخرة مجلجلة ، وملامحه تتضح مع بروز الإضاءة من بعيد ، ثم قال فى سخرية مستهزئة :

ـ ولا يورو واحد ، عزيزى (جون) ..

وأردف قائلاً بنفس الرنة الساخرة الهازئة :

ـ أتعلم أنه فى استطاعتى الآن أن أصحبك معى إلى مكان لا يعلمه أحد ، وأن أجبرك على إعطائى ما أريده ؟! لكنه ليس أسلوبى على أية حال ..

ـ مليون يورو فقط !!

ـ ولا يورو واحد يا عزيزى ، مبدأ التفاوض مرفوض أصلاً ..

وضغط على ذراعه فى قوة ، مضيفًا :

ـ ولا تضطرنى إلى التنازل عن الأسلوب الحضارى الذى أتعامل به معك ، لو كنت الآن بصحبة واحد من رجال (الوحدة ٨٢٠٠) ، لكان الهلاك مصيرك لا محالة ..

اشتد المطر على رأسيهما ، مع إشرافهما على ميدان (الكونكورد) الواسع ، بالمسلة المصرية الشامخة فى منتصفه(*) ، والتى نظر إليها (عمر) مليًا ومزيج من الفخر والأسى يتصارعان فى أعماقه ، الفخر لأنها شاهد على مر الأجيال على عظمة الحضارة المصرية التى بدأت قبل أن يبدأ الزمن فى كتابة سجل التاريخ ، والأسى لأن تكون قطعة كهذه من تراث شعب عريق وسيلة للمهاداة بين حاكم وآخر ..

نفض هذه الخواطر عن رأسه بعد أن قال مأخوذًا :

ـ لكننا ـ نحن المصريين ـ كنا وسنزال أصل الحضارة كلها يا عزيزى ..

ثم إنه التفت نحو (جون) سائلاً :

ـ هه ، ما قولك ؟!

كانت المياه قد غمرت وجه (جون) ، وبدأت تتساقط من كل نقطة فى جسده ، وبدا أنه يشعر بما

(*) فى ميدان (الكونكورد) بباريس مسلة مصرية يطلقون عليها (مسلة الأقصر) ، يبلغ طولها ٢٣ مترًا ، ووزنها ٢٢٠ طنًا ، ويقدر عمرها بـ ٣٣٠٠ سنة ، منقوش عليها تراتيل هيروغليفية تمجد الفرعون (رمسيس الثانى) ، وكان والى مصر (محمد على) قد أهداها لـ (تشارلز العاشر) فى عام ١٨٢٩ م .

يعتور موقفه من حرج ، إذ إنه مهدد بفقدان كل شىء ، حتى استجمع ما تبقى لديه من قدرة على الكلام ، فقال :

ـ وما هو الضمان على عدم إبلاغك الشرطة ؟!

ـ لا ضمانات !!

وحاول إخفاء لمسة من اللين على ما قال ، فأضاف :

ـ ليس أمامك سوى أن تثق بى ..

ـ حسن ، ولكن ...

ـ لا تخبرنى أن الشريحة ليست بحوزتك الآن ، أنا أكره المناورات !

ـ أحتاج لمكان مغلق حتى يتسنى لى إخراجها لك !

هطل المطر كالسيل من بحيرة السماء ، و (عمر) يتفرس فيه ، ثم ينقل بصره نحو الحقيبة السوداء المعلقة فى يده ، سائلاً فى استرابة :

ـ لماذا ؟! أين أخفيتها ..

ـ ستعرف ، كل ما نحتاج إليه الآن مكان مغلق وخال ..

عاد الرعد يهزم من جديد ، و (عمر) يتلفت حوله فى الميدان الواسع الذى خلا من أى آثار بشرية ، فقد لجأ الجميع للمظلات والأماكن المغلقة اتقاءً للبلل بفعل الأمطار المنهمرة دون توقف ..

ـ تعال معى ..

قالها (عمر) لـ (جون) وهو يقتاده قاطعًا أحد الشوارع الرئيسية المشرفة على الميدان ، فسأل الأخير وصوته يرتعش بفعل الخوف والمطر والزمهرير :

ـ إلى أين ؟!

ـ المكان المغلق الخالى الذى تحتاج إليه ..

قالها (عمر) ثم اندس مع (جون) وسط بعض المشاة الواقفين تحت مظلة أحد المحال التجارية ، مستلهمين الدفء من تلاصقهم ، راجين أن تكف الأمطار عن الهطول حتى يتسنى لهم العودة إلى منازلهم الدافئة ..

ـ هذا هو ...

قالها (عمر) وهو يدفع أمامه بابًا زجاجيًّا مطبوع عليه لافتة معنونة باسم (مقهى بارادى للإنترنت) ،

واندفع خلفه (جون) الذى لم يستطع أن يسحب ذراعه من الكلابة المعدنية التى تحيطها ، وقد فهم ما يرمى إليه (عمر) بدخوله هذا المكان ..

ـ نريد تأجير كابينة خاصة لمدة النصف ساعة ..

ابتسم الشاب المرتدى الزى الخاص بالمقهى ، وقد دارت برأسه الظنون إذ رأى رجلان يطلبان كابينة خاصة للإيجار فى الشبكة ، ثم سارع بالتقاط بطاقة الائتمان التى أبرزها له (عمر) وابتسامته تزداد اصفرارًا وهو يقول :

ـ وهل تكفيكما النصف ساعة للاستمتاع بما تودان رؤيته ؟!

ـ تكفى وتزيد ..

مرر الشاب بطاقة الائتمان فى المكان المخصص لها ، ثم أعادها لـ (عمر) قائلاً :

ـ ستطلب المزيد ، أستطيع أن أضمن لك هذا ..

ـ أشكرك على أية حال ..

ـ الكابينة (١٧) بالطابق العلوى ..

انطلق (عمر) جاذبًا خلفه (جون) عبر القاعة

الواسعة الحافلة بالعاملين من الجنسين ومن كل الأعمار أمام أجهزة الحاسب الآلى المختلفة الأشكال والأحجام ، ثم صعدا سلمًا حلزونيًا نحو الطابق العلوى الذى كان عبارة عن شرفة تطلّ على القاعة الواسعة ، وتتراص اللافتات الحاملة لأرقام الكبائن بجوار ستارة مسدلة على مدخل كل كابينة ..

- هنا ..

أشار للافتة التى تحمل رقم (١٧) ، ثم أزاح الستارة ليدخل وخلفه (جون) ، فيجلسا على مقعدين متقابلين ، وتعود الستارة تنسدل خلفهما ..

- والآن ، ها نحن أولاء حيث طلبت ..

- لـ .. لقد وعدتنى بعدم إبلاغ الشرطة !

- هذا صحيح ، على أن تنفذ ما طلبته منك ..

- حسن .. إنها لعنة لابد أن أتخلص منها على أية حال ..

نظر (عمر) نحو الحقيبة السوداء قائلاً :

- هيا ، أعطنى إياها ، و ...

- لى مطلب أخير ..

- ما هو ؟!

- ساعدنى فى الهرب من (أوروبا) كلها ، لن يتركنى رجال (الوحدة ٨٢٠٠) أبدًا ..

صمت (عمر) هنيهة ، ثم قال :

- أعدك بالمحاولة ، لكن لابد أن أرى الشريحة الإلكترونية أولاً ..

- لك ما تريد ..

قالها (جون) ثم وضع يده فى جيبه مخرجًا ملقاطًا من المعدن ، ثم إنه مد يده نحو عينه اليسرى ، و (عمر) يتابعه فى غير فهم ، حتى أزاح (جون) بأصابعه بؤبؤ العين الزجاجية البديلة عن مكانه ، وتبدت العين الزجاجية المفرغة ذات التجويف الصغير ..

- أمسك بالملقاط ، وأخرج الشريحة من مكمنها الأمين !

أدرك (عمر) كل شىء فجأة ، إذ لم يتوقع أمرًا كهذا بتاتًا ، واستغرق الأمر منه ثانية واحدة ليستوعب الموقف ، حتى استعاد رباطة جأشه ، وأمسك بالملقاط بين أصابعه ، ونهض واقفًا ليدخله

فى بؤبؤ العين الزجاجية ، باحثًا بداخلها عن جسم ما ، حتى أخرجه فى النهاية وقد تعلقت بطرفيه شريحة إلكترونية دقيقة يقارب حجمها عقلة الإصبع ..

تلاقت عينا (عمر) عندها ، وهو غير مصدق لأن يكون الأمر على هذا القدر من البساطة ، فنجاح مهمته متعلق بعودته بهذه الشريحة ، وها هى ذى على بعد سنتيمترات منه ..

- تود تجربتها بالتأكيد ..

- حتمًا ..

- دعنى أوصلها لك بهذا الحاسب الآلى المتطور ..

قالها (جون) بعد أن أعاد بؤبؤ عينه الزجاجية إلى مكانه ، مشيرًا للحاسب الآلى القابع فوق منضدة الكابينة ، وتركه (عمر) يعبث ببعض التوصيلات بين وحدة الحاسب الآلى الرئيسية وبين الشريحة الإلكترونية ، ولم تكد تمضى دقائق معدودة ، حتى فاضت شاشة الحاسب الآلى بما تحمله الشريحة من كم مهول من المعلومات الخاصة بـ (الوحدة ٨٢٠٠) ، مع فيضان سيل من الكهرباء فى خلايا (عمر) الذى أيقن أن (جون) لا يكذب ..

- حسن ، أعطنى إياها .. وهيا بنا ..

- إلى أين يا عزيزى (عمر) ؟!

التفت كل منهما فى حدة نحو مدخل الكابينة ، حيث كان يقف - بابتسامة تتأرجح بين الظفر والشماتة - آخر شخص يرغب أى منهما فى رؤيته الآن بالذات ..

نعم ، إنه هو ..

(عزرا أهارون) ، بكل تأكيد ، ممسكًا بمسدس مشهر فى وجهيهما ..

وكان المعنى أوضح من أن يعينه ..

★ ★ ★



ألتفت كل منهما فى حدة نحو مدخل الكابينة ، حيث كان يقف -
بابتسامة تتأرجح بين الظفر والشماتة ..

(١٣)

تجمد المشهد عند هذه الصورة لفترة لم تكن بالقصيرة ..

(جون ميشيل) قد فغر فاه ذاهلاً ، محدقًا فى نفس النقطة التى يحدق فيها (عمر زهران) ، وهى النقطة التى يقف عندها (عزرا أهارون) وقد شهر مسدسه فى وجهيهما ، وقطرات المياه تسقط الواحدة تلو الأخرى من معطفه المبتل ، وشعره الذى زادته الأمطار نعومة والتصاقًا ..

ـ إنها المحطة الأخيرة يا صديقىّ العزيزين !

قالها (عزرا) ثم وجه حديثه نحو (جون) قائلاً :

ـ أنت إذن من أقلقنا خلفه كل هذا الوقت ، ومن اخترق نظم أمننا السرية الحصينة !

والتفت نحو (عمر) مردفًا :

ـ وأنت أيها المصرى من كان يود أن يسجل ضدى

أول انتصار ، على حساب ملفى الطويل الخالى من الهزائم ، أنت أيها الطفل التافه !

ثم نظر إلى الشريحة المستقرة فى راحة (عمر) المفرودة ، متابعًا :

ـ أعتقد أن هذا الشىء يخصنا يا سادة ، وبعدها نبدأ فى تصفية الحسابات بيننا ..

شحب وجه (جون) ، وقد بدا قول (عزرا) الأخير مثيرًا للهلع ، خاصة بعد أن تبعه هزيم الرعد فى الخارج عاليًا مدويًا ، مصحوبًا بصوت رشاشات المياه المنطلقة من عيون السحاب ، أما (عمر) ، فقد تجهم عابسًا وهو يقول فى انكسار :

ـ انتصار آخر لصالحك إذن يا (عزرا) ..

قال (عزرا) فى زهو الطواويس وهو يقترب منه فى بطء مادًا يده :

ـ كان ينبغى لك أن تتوقع هذا منذ البداية يا صغيرى ، ولا تطاول بقامتك الضئيلة هامات العمالقة الشداد ..

أغمض (عمر) عينيه للحظة متنهدًا فى تسليم ، ثم نظر إلى الشريحة فى يده قائلاً :

ـ إنها لك يا (عزرا) ، أنت الأحق بها حتمًا ..

اتسعت ابتسامة (عزرا) الظافرة فى شماتة ، حتى كادت شفتاه أن تلامسا أذنيه ! بينما انهار (جون) نفسيًا تمامًا ، فصرخ باكيًا :

ـ يا إلهى .. ماذا فعلت بنفسى ؟! ماذا فعلت بنفسى ؟!

مد (عزرا) يده نحو (عمر) ، وقد أصبح فى مواجهته تمامًا ، وهو يقول :

ـ حظ أفضل فى المرات القادمة يا صغيرى ..

وأردف فى لهجة المنتصر الواثق :

ـ إن كانت هناك مرة قادمة !

رفع (عمر) يده بالشريحة مع تعالى نشيج (جون) المكتوم الممتزج بتقريعه لنفسه ، وقد سالت الدموع من عينه السليمة فقط ، وبدا أن (عزرا) قد سيطر على الأمر تمامًا ، وأن كفته راجحة بما لا يدع مجالاً للتفكير أو الشك ..

ولكن فى اللحظة التاليـة ، تغيرت الأمـور للنقيض تمامًا ..

فبمجرد أن لامست راحة (عمر) كف (عزرا) الممدودة ، شعر هذا الأخير بقبضتين قويتين تحيطان بساعده ، وتجذبانه للأمام بكل قوتيهما ، فوجد نفسه يندفع ـ بلا حول منه ولا قوة ـ ليصطدم بشاشة الحاسب الآلى فى الكابينة المربعة الصغيرة ، لتنفجر الشاشة فى صدره ، وليسقط معها أرضًا فى الركن ..

فعلها (عمر) فى لحظة أو أقل ، وقبل حتى أن يعى (جون) ما حدث أمامه ، كان (عمر) ينطلق مهرولاً نحو السلم الحلزونى الواصل ما بين الشرفة العلوية والقاعة الفسيحة ، قبل أن يتمالك (عزرا) ـ داخل الكابينة ـ نفسه ، فينهض واقفًا وهو ينفض عن صدر معطفه شظايا الشاشة المحطمة ، ويرغى ويزبد فى غضب لم يشعر بمثيله من قبل :

ـ سأحطمك .. سأنسفك نسفًا أيها اللعين !

ثم يلتفت نحو (جون) المرتعدة فرائصه رعبًا ، وهو يهتف كالمسعور :

ـ وأنت ، إلى الجحيم مع تحياتى القلبية ..

رصاصة فى منتصف الجبهة ، خر (جون) بعدها صريعًا فوق كرسيه ، بينما انطلق (عزرا) نحو الشرفة المطلة على القاعة ، ليرى (عمر) يركض فى سرعة بالأسفل محاولاً اجتياز المسافة بين السلم والبوابة الزجاجية بأقصى ما يستطيع من جهد ، فهتف لنفسه وهو يعتلى سور الشرفة :

ـ إن (عزرا أهارون) لا يهزم بهذه السهولة أيها المصرى !

وقفز (عزرا) ، وجاءت سقطته ـ كما حسبها تقديريًا تمامًا ـ فى نفس النقطة التى وصل إليها (عمر) راكضًا ، فتدحرج الأول فوق جسد الثانى وقد وقع الاثنان على الأرض الرخامية البيضاء ، مثيران الفزع والهلع الجماعى بين رواد المقهى ، مما جعلهم يتكالبون على بوابة الخروج ، مفضلين أمطار الخارج عن العنف الذى قد يطول أيًا منهم بالداخل ، خاصة وقد لاحظت الأغلبية منهم أن (عزرا) يحمل فى يده مسدسًا !

وأمسك (عمر) بتلابيب (عزرا) القابع فوقه، بينما وجه له (عزرا) لكمة فى وجهه كادت تحطم أنفه، وتشابكت أذرعهما وقد أضحى الأمر صراع قوة محضة، كل منهما يحاول شل حركة ذراعى الآخر بالمزيد من الضغط فوقها، وتعالت الزمجرات واشتد الضغط على الأسنان، وبدأت كفة (عزرا) ترجح مرة أخرى إذ كان وضعه بالأعلى فى صالحه بشدة، فقد كان يضغط على خصمه بكل ثقل جسمه، لا بمجرد ذراعيه وحدهما كما يفعل (عمر) المسجى جسده فوق الأرض..

لكن الأمور تغيرت للنقيض تمامًا مرة أخرى..

اعتمد (عمر) على قوة ساقيه وجذعه، فرفعهما بقدر ما يستطيع للأعلى، نافضًا (عزرا) من فوق جسده، قالبًا إياه للخلف، ثم اعتدل فى زمن قياسى، منقضًا عليه من جديد، وهو يحيط رقبته بساعده، ويلوى بيده الحرة ساعد (عزرا) الذى تمسك يده بالمسدس، فأسقطه الأخير، وما كان من (عمر) إلا أن سارع بدفعه نحو أحد أجهزة الحاسب الآلى الذى انفجرت شاشته وهو يسقط معه أرضًا كما حدث فى الكابينة، ثم انحنى (عمر) فى سرعة ممسكًا بالمسدس،

مشهرًا إياه فى وجه (عزرا) الذى نهض من جديد نافضًا الشظايا الدقيقة للشاشة المتفجرة من فوق معطفه..

- أول هزيمة حقيقية فى تاريخك يا (عزرا أهارون)..

ارتسم تعبير يوحى بالشراسة والوحشية فوق وجه (عزرا) وهو يلهث من أثر إنهاك الصراع، دون أن ينبس ببنت شفة..

- حظ أفضل يا عزيزى فى المرات القادمة..

وأضاف باسمًا برغم إنهاكه هو الآخر:

- وستكون هناك مرات قادمة، أنا واثق من هذا..

سأله (عزرا) بنفس تعبير الشراسة والوحشية:

- أمازلتم تأنفون من قتل العزل ؟!

- نعم، وهذا من حسن حظك..

- وماذا ستفعل بى إذن ؟!

اقترب منه (عمر) فى خطوات واثقة، وأمسك بتلابيبه وهو يحشر المسدس فى بطنه قائلاً:

ـ سأكتفى بإفقادك الوعى فحسب ..

ـ بهذا المسدس ؟!!

هز (عمر) رأسه نفيًا ، ثم أجاب :

ـ إنه وسيلة لضمان عدم الغدر فى أثناء تأدية مهمتى ..

وأخرج بيده الأخرى التى تركت تلابيب (عزرا) محقنًا متناهيًا فى الصغر من جيب معطفه ، وهو يتابع قائلاً :

ـ كان هذا معدًا لـ (جون) ، لكنه من نصيبك الآن ..

نظر (عزرا) نحو المحقن بعينين لامعتين ، بينما ابتسم (عمر) وهو يستعد لغرسه فى ذراعه ، لكنه لم يفعل ذلك ..

لم يفعله أبدًا ..

وبشكل أكثر دقة ، تغيرت الأمور تمامًا للنقيض مرة ثالثة ..

للنقيض تمامًا ..

★ ★ ★

(... إياك أن تدع لحظة النشوة بفوز لحظى تأسرك لدرجة أن تنسى أن الأمور لم تنته بعد ، وأنه ربما كان هناك من يتربص بك من الخلف مستغلاً انشغالك بما هو أمامك من خطر ..) ..

★ ★ ★

ـ مسدسك ، أدون (عمر) !

لم يشعر (عمر) إلا بماسورة المسدس تلتصق بظهره من الخلف ، قبل أن يلامس المحقن ذراع (عزرا) ولم ير بعدها إلا ابتسامة (عزرا) التى زادت ملامحه وحشية وشراسة ، ولم يفعل بعدها أكثر من الوقوف ثابتًا ، و (عزرا) يجذب مسدسه من بين أصابعه فى قوة ، هاتفًا فى نشوة غامرة :

ـ إنك تزداد عبقرية مع الأيام ، عزيزى (عاموس) !

قال (عاموس) ـ وقد أسعده التقريظ ـ ملصقًا مسدسه إلى ظهر (عمر) من الخلف :

ـ تلميذك النجيب ، أدون (أهارون) !

ـ لقد حضرت فى الوقت المناسب تمامًا على أية حال ..

قالها (عزرا) ثم التفت نحو (عمر) قائلاً من موقع الأقوى :

ـ والآن يا عزيزى ، إلىّ بالشريحة الإلكترونية الدقيقة ..

تجمدت الملامح فوق وجه (عمر) ، وقد حاول جاهدًا قمع تعبيرات الهزيمة فى أعماقه ألا تظهر على وجهه ، لكنه قد انهزم حقًا ، وبسبب خطأ تكرر فى أثناء تدريبه على قتال المستوى السادس فى عرض المحاكاة بـ (المكتب ١٧) صباح اليوم !

ـ ياله من غبى !

ـ الشريحة يا عزيزى ..

قالها (عزرا) من جديد بعد أن طال صمت (عمر) مرة أخرى ، ولما لم يجد غير الصمت والجمود جوابًا ، نظر إلى (عاموس) قائلاً :

ـ فتش جيوبه جيدًا يا (عاموس) ، يبدو أن القتال قد أصاب صديقنا بالصمم ..

امتثل (عاموس) لأمره .. وما هى إلا ثوان ، حتى

برزت يده خارج جيب المعطف الجانبى حاملة شريحة إلكترونية دقيقة فى حجم حبة العدس !

هزم الرعد من جديد فى الخارج ، وابتسم (عزرا) هاتفًا فى سعادة ، وقد شعر بالنصر الحقيقى أخيرًا إذ رأى الشريحة الإلكترونية فى يد (عاموس) :

ـ إنها نهاية اللعبة يا صديقى ، ولن أقول لك هذه المرة حظًا أفضل فى المرات القادمة ، إنها لعبتنا الأولى والأخيرة معًا ، لأننى سأقتلك الآن فورًا ..

ثم صوب مسدسه نحو جبهة (عمر) بالضبط ، وهو يضيف :

ـ ولا أنكر أننى استمتعت باللعب معك حقًا ، ولكن اعذرنى ، المنتصر دومًا هو من يطلق الأحكام على الخاسر ، وينفذها فيه بالفعل ..

ولامست أصابعه الزناد قبل أن يضيف خاتمًا :

ـ الوداع يا عزيزى المصرى ..

وقبل أن يضغط الزناد بلحظة واحدة ، انفتح الباب الخارجى للمقهى الذى خلا على عروشه إلا من الأجهزة

والأثاث ، وعلى الرغم منه التفت (عزرا) نحوه ، وكذلك فعل (عاموس) ، بل و (عمر) نفسه ..

ولدهشة الثلاثة .. ولنقل لذهولهم الشديد ، كان يقف عند الباب ـ داخل المقهى بالفعل ـ أربعة رجال أشداء ، ضخام الجثث كأنهم بعثوا من عصور الديناصورات المنقرضة ، يمسك كل منهم برشاش سريع الطلقات ..

هذا فى حد ذاته لم يكن مثارًا للدهشة ، وإنما أن يكون أمامهم فتاة على قدر متوسط من الجمال ، شقراء الشعر ، بيضاء البشرة إلى حد مستفز ، تجلس فوق كرسى إلكترونى متحرك خاص بالمُقعدين ، فالأمر كان يستحق بالقطع هذه الدهشة ..

ولنقل الذهول الشديد !

★ ★ ★

(١٤)

أسدلت الستائر إلكترونيًا خلف واجهات (مقهى بارادى للإنترنت) الزجاجية ، لتخفى عن السائرين فى الشوارع الغارقة بمياه الأمطار ذلك المشهد الغريب ، وغير المفهوم بالداخل ، بعدما أسقط كل من (عزرا) و (عاموس) مسدسه ، ووقفا على جانبى (عمر) فى مواجهة الحوائط البشرية الأربعة ، بينما أخذت الفتاة المقعدة تحدق فى الشريحة الإلكترونية الدقيقة المستقرة فوق راحتها ، والتى أتى بها أحد رجالها من قبضة (عاموس) ، الذى كان قد ظن ـ هو ورئيسه ـ أن العملية قد انتهت لصالحهما من جديد ..

ثم إنها نقلت بصرها نحو الثلاثة الواقفين أمامها ، قائلة فى سرور صبيانى :

ـ هكذا أنا دائمًا مثل نجم المسرحية ، الذى يدخل بعدما يمهد لدخوله جميع الممثلين !

وأردفت ضاغطة زرًا ما فى مسند مقعدها المتحرك على عجلات ، ليتحرك بها للأمام قليلاً :

- وقد كان تمهيدكم لى مثيرًا بحق ، حتى إننى تابعته كما لم أتابع شيئًا آخر فى حياتى ..

سألها (عزرا) فى جرأة :

- ومن تكونين ؟! وما هى مصلحتك فى الحصول على هذه الشريحة ؟!

ضمت يدها القابضة على الشريحة إلى صدرها ، وهى تقول فى لهجة عابثة :

- ربما كنت إحدى عميلات جهاز مخابرات ما ، أو ...

قاطعها (عزرا) ساخرًا ، وقد جاوزت جرأته حدود الوقاحة :

- مخابرات ؟! ومنذ متى يعمل المعاقون فى صفوف أجهزة المخابرات ؟!

صمتت وقد تلطخت وجنتاها البيضاوان ببقع احمرار دموى شف عن إحساس عميق بالمهانة ، فتحفز الرجال الأربعة الممسكون بأسلحتهم ، انتظارًا لإشارة واحدة منها ، وازدرد (عاموس) ريقه قائلاً فى محاولة لتهوين الأمر :

- إنه يقصد أنك تبدين أصغر سنًّا من أن ...

قاطعته هاتفة فى صرامة :

- اصمت ، لقد قال ما قصد قوله وانتهى الأمر ..

ثم حدجت (عزرا) بنظرة نارية ، قبل أن توجه إليه حديثها قائلة :

- أستطيع بإشارة واحدة منى أن أرسلك للجحيم على جناح السرعة ، لكنى سأتحلى بالصبر ريثما ننتهى من التفاهم على بعض المسائل المعلقة بيننا !

وصمتت هنيهة قبل أن تستطرد قائلة :

- تريد أن تعرف من أنا ؟! حسن .. اسمى (مادلين تشاين) ، وبرغم أننى أبدو صغيرة فى السن ضئيلة فى الحجم إلى هذا الحد ، إلا أننى على أعتاب العقد الرابع من العمر ، وتخصصى الوظيفى هو خبيرة تقنيات حديثة شاملة ، مثلك يا أدون (عاموس موردخاى) !

فوجئ (عاموس) بمعرفتها اسمه ، فتنحنح قائلاً :

- سيدتى ، إننى ...

لم يكن يقصد قول شىء محدد ، فلاذ بالصمت على حين تابعت (مادلين) قائلة :

ـ أعمل فى منصب رائع مقارنة بمن هى فى سنى وظروفى الصحية ، كنائب لرئيس مجلس إدارة مؤسسة (تكنوتل) للتقنيات الحديثة ، التابعة لها (ماربل للاتصالات) !

ندّ عن (عمر) صفير دهشة مفتعل ، تبعه بقوله :

ـ يا للروعة !

ثم أشار لرجالها الأربعة سائلاً فى سخرية :

ـ وهل هؤلاء هم أعضاء مجلس الإدارة ؟!

ابتسمت على الرغم منها بينما لم يبدِ أى من الرجال الأربعة انفعالاً ما ، ثم قالت فى لهجة مرحة :

ـ كلا بالقطع ، يا مسيو (عمر زهران) ، إنهم رجالى الخاصين لأغراض الحراسة والأعمال السفلية ، سمّهم (مرتزقة) لو راقت لك التسمية ..

فى نفاد صبر ، قال (عزرا) :

ـ هذا كله لا يفسر شيئاً عن علاقتك بالشريحة !

ـ بل يفسر الكثير يا أدون (عزرا أهارون) ، أبسط ما يمكننى قوله هو أن اثنين من العاملين بالمؤسسة التى أرأسها فعليًا ـ بعد رئيس مجلس الإدارة الغائب

دومًا فى سفريات خارجية ـ هما من قاما بالقرصنة على شبكة معلوماتكم السرية ، وحمّلا الكثير من أسراركم على هذه الشريحة الإلكترونية الدقيقة ..

قال (عاموس) وقد أذهلته معرفتها لهم على هذا النحو :

ـ من الواضح أنك تعرفين عنا الكثير يا سيدتى ..

ـ أكثر مما تتصورون ، مما يعنى أننى أقواكم ها هنا .. إن القوة فى هذا العصر تقاس بمدى ما تعرف ، أليس كذلك ؟!

ثم استطردت قائلة وهى تجول بمقعدها المتحرك هنا وهناك ، دون أن يقاطعها أحد منهم إذ كانوا فى انتظار الكثير من التفسيرات عبر حديثها :

ـ لقد بدأ الأمر ـ كما تعرفون ـ بذلك العرض الذى قدمه (جون) و (بول) على موقع الشبكة التجارى الشهير ، والذى راق لى للغاية ، فقررت خوض اللعبة من طرفى ، وبطريقتى الخاصة ، لم أكن أعلم وقتها شيئًا عن هوية (القرصان الأعور) الغامض ، حتى توصلت مع أجهزتكم الواعية لرقم الـ (IP) الخاص بـ (بول رينيه) ، بعد خطأ البقاء لأكثر من دقيقتين فى

موقع البريد الإلكترونى المجانى ، ويبدو أنها كانت خدعة محكمة وماهرة من (جون ميشيل) ليوجه أنظارنا جميعًا نحو (بول) ، بينما يلعب هو فى أمان من خلف الستار ، وقد كنت شخصيًا أول من وقع فى الشرك ، فقمت ورجالى بزيارة مسكن (بول) واختراق نظام (النوافذ) الخاص به ، ولما لم أجد بغيتى ، قمت بحفظ الملف الكاريكاتيرى لـ (الوحدة ٨٢٠٠) على القرص الصلب إذ كنت واثقة من أن الزيارة التالية ستكون لـ (عزرا أهارون) و (عاموس موردخاى) ، وهذا ما حدث بالفعل ، أليس كذلك ؟!

هتف (عاموس) فى اكتشاف :

ـ أنتِ إذن من ...

وبتر عبارته إذ كان الموقف أوضح من أى كلمات تقال ، وبينما كان (عزرا) يعتصر قبضته حتى تكاد عظام أصابعه تتحطم ، كانت (مادلين) تنقل بصرها نحو (عمر) لتثبته فوق وجهه ، وهى تتابع دون توقف :

ـ وانتظرت كما انتظرتم الخطوة التالية ، وهى حضور أى من المشترين ، وسبقتكم لاكتشاف حضور

(لبيب نور الدين) بعد حصولى على صورة من جواز سفرك الزائف يا مسيو (عمر) عبر شبكة المطار ، وكان من الممكن أن تنطلى علىّ خدعة كونك رجل أعمال مصرى ، لكنى استخدمت أقوى مجموعة من خبراء الشبكة واختراق الأنظمة فى مؤسستى ، لأحصل فى النهاية على هويتك الحقيقية من سجلات الأمن المصرية ، وأرسل بها إلى كل من (بول رينيه) على عنوان بريده الإلكترونى المجانى ، وإليك أدون (أهارون) فى رسالة لا تحمل عنوان المرسل ، مصحوبة بميعاد اللقاء فى برج (إيفل) الساعة الرابعة عصرًا !

غالب (عزرا) شعوره العارم بالدهشة ، بينما عقد (عمر) حاجبيه فى اهتمام متزايد ، واتسعت ابتسامة (مادلين) وقد راقتها للغاية تعبيرات وجهيهما ، ثم فرقعت بإصبعيها السبابة والإبهام فى الهواء قائلة والسعادة تغمر نبراتها المتعالية :

ـ لكل شىء حل ، ما دام الأمر يتعلق بالتكنولوجيا ، وإذا كان جهاز هاتفك الخلوى يا مسيو (عمر) مزودًا بوصلة منع تنصت زرعها لك خبراء مكتبك فى (القاهرة) ، فنحن لم نعدم وسيلة بعد تمكننا من بلوغ

غايتنا ، وهكذا فقد زرعت لك موظفة فرع مؤسسة (ماربل) فى المطار ، بأوامر شخصية منى عبر الهاتف ، شريحة العمل فى (باريس) ، مزودة ببرنامج متطور مكننا من سماع المكالمة التى أجراها لك (بول) من خلال هاتف عمومى ..

وأخذت تشرح النظرية التقنية مستطردة فى بساطة :

- إن جهازك يا مسيو (عمر) يكشف وسائل التنصت المحيطة بك قبل قبولك أو إجرائك للمكالمة ، ولم يخطر فى بالكم قط أنه من الممكن إدخال وسيلة التنصت فى أثناء حديثك ، أى بعد قبول المكالمة فعليًا ، وعليه ، فالبرنامج المتطور الذى أحدثك عنه يعمل أوتوماتيكيًا بعد ضغطك زر (قبول المكالمة) على الفور ، فيبطل عمل الوصلة الخاصة بمنع التنصت ، وينقل لنا تفاصيل المكالمة كاملة ، ثم يخمد ثانية فور ضغطك زر (إنهاء المكالمة) ، كأنه لم يكن !

صمتت لحظة لترى تأثير حديثها على الواقفين ، ثم عادت تسترسل قائلة :

- لم أكن أعرف شيئًا وقتها عن دور (جون ميشيل) فى العملية ، وما هدانى إليه تفكيرى كان إثارة صراع

جانبى بين الطرفين المصرى والإسرائيلى ، ليتسنى لى الفوز بـ (بول) الذى اختفى تمامًا منذ الأمس ، فأرسلت أحد رجالى ليطلق عليه سهمًا مخدرًا ، ولكن حدث ما حدث من اضطراب فى البرج ، وانتهى الأمر عند الجسر برصاصة (جون) التى أصابت (بول) فى مقتل ، فى الأغلب لأنه شعر أن (بول) على وشك أن يكشف سره ، فأطلق رجله الغبى السهم عليك ، أدون (أهارون) ، لتسقط فاقدًا للوعى ..

وظننت مثلكم جميعًا أن الأمر قد انتهى ، حتى أرسل (جون) برسالته التى كشفت أمره ، وللحق فلولا (رشيد) صديقك العبقرى يا مسيو (عمر) ، لما أتيح لنا جميعًا معرفة كنه (القرصان الأعور) الحقيقى ..

سأل (عمر) فى ريبة وحاجباه ينعقدان أكثر :

- (رشيد) ؟!

- نسيت أن أخبرك أن (عامر) صديقه الصدوق كان يعمل أولاً لدى فى (ماربل) فى وظيفة متواضعة للغاية ، حتى استطعت إقناعه بنفسى أن العمل فى (نقطة آمنة) أكثر إدرارًا للربح ، من جهتى ، ومن جهتكم ..

تمتم (عمر) بصوت مسموع :

ـ الوغد ..

تجاهلت (مادلين) تعليقه واستمرت تقول :

ـ ومن جديد أرسلتَ لك ، أدون (أهارون) بما عرفت ، طمعًا للوصول إلى النتيجة نفسها ، ولكن هذه المرة جاء القطاف ناضجًا ، والنتيجة كأفضل ما يمكن أن يكون ، فقد تتبع (عمر) (جون) ، وتتبع (عزرا) (عمر) ، وتتبعت أنا (عزرا) ، لأقف أمامكم فى النهاية داخل مقهى الإنترنت التابع لمؤسستنا الضخمة ، فى موقع المنتصر ، والأقوى ..

وعادت تمر بعينيها فوق الوجوه الثلاثة ، غير منتبهة للبريق المتزايد فى عينى (عمر) ، وهى تهتف رافعة يدها القابضة على الشريحة ، كأنها تمثل دورًا فى إحدى المسرحيات الكلاسيكية ..

ـ لقد كنت معكم فى كل خطوة تخطونها ، أصاحبكم فى كل نفس يتردد فى صدوركم ، برغم إعاقتى يا أدون (أهارون) ، لأننى أمتلك العلم والتكنولوجيا ، أى أمتلك العالم المستقبلى كله ، بعيدًا عن حذلقة المتشدقين بأن العلم سلاح ذو حدين ، وأن التكنولوجيا ما زالت عرجاء لا تستطيع السير على قدمين كالإنسان الذى ابتدعها ..

عقد (عزرا) ساعديه أمام صدره سائلاً :

ـ ثم ماذا ، مدموازيل (مادلين) ؟!

هزت (مادلين) كتفيها سائلة فى غير فهم :

ـ ماذا ماذا ، أدون (أهارون) ؟!

قال (عزرا) ملوحًا بذراعيه فى ضيق :

ـ لقد كانت محاضرة شيقة بالفعل عن دور التكنولوجيا فى حياة إنسان القرن الحادى والعشرين ، مدعمة بالأمثلة العملية ، أهذا كل ما كنت ترومين ؟! مجرد إثبات ؟!

لوحت بسبابتها فى الهواء يمنة ويسرة ، وهى تقول :

ـ كلا بالطبع يا سادة ، ولنتحدث عن العمل ما دمتم لا تستطيعون معى صبرًا ..

ازداد البريق فى عينى (عمر) لمعانًا ، وهو يحدق فى نقطة ما خلف رأس (مادلين) تمامًا ، إلا أنها لم تنتبه لهذا مطلقًا ، وهى ترفع الشريحة الإلكترونية الدقيقة بين إصبعيها السبابة والإبهام ، هاتفة :

ـ إن الشريحة ما زالت معروضة للبيع ، بسعر مغر للغاية !

كاد حاجبا (عزرا) يلتقيان عند منتصف جبهته وهو يعقدها فى شدة ، هاتفًا فى استنكار :

- ما هذا الهراء ؟!

عن أى هراء تتحدث ، أدون (أهارون) ؟! إننى أعرض الشريحة للبيع بمبلغ ٧ ملايين يورو فقط ، ستفتح بهم (تكنوتل) سوقًا جديدة لها فى القارة الأمريكية ، تمهيدًا لأن تصبح يومًا ما أقوى مؤسسة تكنولوجية فى العالم بأسره ..

وأضافت هاتفة كأنها تنادى فى مزاد :

- والاستلام فورى بعد الدفع مباشرة ..

قال (عاموس) فى دبلوماسية :

- نحن يا مدموازيل لانستطيع التحرك أو إصدار قرارات وحدنا ، لابد من إطلاع القيادات على الأمر أولاً قبل ...

قاطعته (مادلين) :

- هذا ردكم إذن !

ثم وجهت حديثها لـ (عمر) قائلة :

- وماذا عنك ، مسيو (عمر) ؟!

فوجئت بابتسامة (عمر) الواثقة التى ارتسمت على شفتيه ، وهو يقول فى هدوء مريب :

- أتعلمين يا مدموازيل أننى أختلف معك قليلاً بشأن وجهة نظرك ؟!

سألته (مادلين) فى غير فهم :

- أى وجهة نظر تقصد ؟!

هز كتفيه قائلاً :

- مازلت أرى أن العلم سلاح ذو حدين ، وأن التكنولوجيا ستبقى عرجاء لاتستطيع السير على قدمين كالإنسان الذى ابتدعها ، حتى لو كان رأيك فى ما أقول أنه محض تشدق !

التفت (عاموس) إليه محاولاً فهم ما يقول ، وظل (عزرا) مقطبًا ، بينما بهتت (مادلين) لقوله قبل أن تقول ، وقد بدأ الشك فى التسلل إلى قلبها :

- هل تقصد شيئًا محددًا ؟!

- بالطبع ، هذا ما أقصده ..

وفى لمح البصر ، التقط (عمر) جهازًا صغيرًا موضوعًا فوق منضدة قريبة ، من تلك الأجهزة المعقدة

الكثيرة الموصلة بالحاسبات الآلية المتناثرة فى أنحاء المقهى ، وألقاه بكل قوته فى اتجاه رأس (مادلين) مباشرة ..

صرخت (مادلين) فى رعب وهى ترى الجهاز الملقى نحوها ، ورفع رجالها الأربعة مدافعهم الرشاشة نحو (عمر) ، لكنهم قبل أن يطلقوا طلقة واحدة ، كان المكان قد أظلم تمامًا ، مع هزيم الرعد الذى دوى فى الخارج مرة أخرى ..

ذلك لأن الجهاز لم يصب رأس (مادلين) ، كما توهم الجميع ، بل أصاب نقطة ما خلف رأسها تمامًا ، هذه النقطة كانت عبارة عن زر أحمر مثبت فى كل الحوائط الحديثة ، مهمته فصل الكهرباء عن المكان بمجرد ضغطه عند الطوارئ ، حال حدوث ماس كهربى مثلاً ، أو اندلاع حريق ، أو ... أو ...

بترت (مادلين) صرختها فور اكتشافها لهذه الحقيقة ، بينما تخبط رجالها ببعضهم فى الظلام ، وأسرع (عمر) يتحرك فى خفة كأنه وطواط يرى بقرون استشعاره فى العتمة الحالكة ، فأمسك بكفيه رأس كل من (عزرا) و (عاموس) وسارع بدقهما فى

بعضهما قبل أن يعى أى منهما ما يحدث ، فسقطا أرضًا على الفور من أثر قوة التصادم ، فى نفس اللحظة التى دوى فيها صوت طلقات المدافع الرشاشة ، التى أطلقها الرجال الضخام عشوائيًّا فى الظلام ، مما دعا (مادلين) لأن تصرخ فيهم :

ـ كلا .. كلا .. يا أغبياء ، ستصيبوننى أنا بهذا الشكل !

لكن صراخها ضاع وسط دوى الرصاصات ، فانكمشت على نفسها وهى تسد أذنيها بكفيها مواصلة صراخها الملىء بالفزع ، قبل أن تشهق على مسمع لمجموعة من التصادمات والتأوهات والشاشات المتفجرة ، لتفاجأ أمامها فى النهاية بوجه (عمر) يبتسم ساخرًا ، وقد اكتسى وجهه ومسدسه المصوب نحوها باللون الأزرق الصادر من ضوء ساعة معصمه ، فشهقت من جديد قبل أن تسمعه يقول :

ـ الشريحة الإلكترونية يا حلوتى !

لم تشعر بنفسها إلا وقد مدت له يدها واضعة الشريحة الإلكترونية الدقيقة فوق راحته وهى ترتعد فرقًا ، برغم ملامح وجهها التى تجمدت تمامًا ..

ـ أشكرك على أية حال ، وأتمنى أن أراك فى ظروف أخرى أفضل من هذه ..



وقد اكتسى وجهه ومسدسه المصوب نحوها باللون الأزرق الصادر من ضوء ساعة معصمه ..

ومد يده جاذبًا شحمة أذنها ، وهو يقول مداعبًا :

ـ ولا تنسى هذا الدرس أبدًا ياصغيرتى ، التكنولوجيا عرجاء ، كانت ومازالت وستظل عرجاء مهما تطورت ! إلى اللقاء ..

ثم ابتلعه الظلام ، تاركًا إياها وحيدة ، لاتدرك حواسها شيئًا مما حولها سوى رشاشات المياه المنهمرة بالخارج ..

★ ★ ★

(١٥)

ـ ماذا ؟! (عامر) ؟!

هتف بها (رشيد) فى دهشة بالغة ، وقد اتسعت عيناه ، بعدما قاله (عمر) الذى وقف أمام مرآة يصفف شعره القصير ، وقد بدل ملابسه المبتلة بأخرى جافة للمرة الثانية على التوالى فى يوم واحد ..

كان (عمر) قد أخبره بما سمعه من (مادلين تشايمر) عن كون (عامر) عميلاً مزدوجًا ، فزلزل ذلك أعماقه ، وعاد يهتف .. كأنه يحادث نفسه .. وهو يدق جبهته بقبضته المضمومة :

ـ لهذا غادر الليلة حاملاً حقيبة .. لقد كانت حاجياته فيها ، إنه لن يعود ثانية !

نظر نحوه (عمر) قائلاً فى شىء من الشفقة :

ـ خذ الحذر فى المرة القادمة يا صديقى ، ولا تقتنع ثقتك فى أى شخص بسهولة ..

ترقرت الدموع فى عينى (رشيد) وهو يتمتم لنفسه فى غيظ مكتوم :

ـ الخائن ، الجبان !

اقترب (عمر) منه مربتًا فوق كتفه ، ثم قال متنهدًا :

ـ نحن لا نتعلم بسهولة يا صديقى ..

غالب (رشيد) مشاعره المعربدة فى أعماقه كوحوش تتصارع ، ثم قال :

ـ أنت على حق ..

ثم التفت نحو (عمر) قائلاً وهو يغير دفة الحديث :

ـ ولتستعد أنت يا صديقى ، فطائرتك ستقلع فى غضون ساعة على ما أظن ..

ابتسم (عمر) فى مكر وهو يتجه نحو حاسبه الآلى الصغير المفتوح فوق منضدة قريبة ، قائلاً :

ـ أى طائرة منهما تقصد ؟!

عقد (رشيد) حاجبيه وهو يسأل مستفهمًا :

ـ منهما ؟! ماذا تعنى ؟!

أشار (عمر) إلى شاشة حاسبه الآلى التى انقسمت إلى نصفين ، وهو يسأل دون أن تزول ابتسامته الماكرة عن شفتيه :

ـ طائرة (مصر للطيران) المقلعة من مطار (شارل ديجول) ؟! أم طائرة (إير فرانس) المقلعة من (أورلى) ؟!

استغرق الأمر من (رشيد) عدة ثوان حدق فيها بالشاشة أمامه ، قبل أن يستوعب عقله اللعبة ويلتفت إلى (عمر) قائلاً فى إعجاب :

ـ يا للدهاء ! إنك ستشتت انتباههم حقًّا !

هز (عمر) رأسه بالإيجاب وهو يقول :

ـ إنها حيلة قديمة ، حجز فى الطائرة الأولى باسم (لبيب نور الدين) ، وفى الثانية باسم (عمر زهران) ، وهكذا تتوزع جهود الجميع ما بين أقصى شمال وأقصى جنوب (باريس) ! هرش (رشيد) فى شعر رأسه الأكرت سائلاً :

ـ ولكن على متن أى منهما سوف تسافر ؟!

قال (عمر) مجيبًا فى استهانة :

ـ لا هذه ولا تلك !

التفت (رشيد) نحوه وقد أطلت من عينيه نظرات عدم فهم ، فاستطرد (عمر) قائلاً :

ـ إذا استخدم (هارون) بمعاونة (مادلين تشايمر) ـ والتحالف بينهما أمر وارد حقًّا ـ سلطاتهما فى (باريس) فلن يمكننى مغادرتها أبدًا ، حيًّا على الأقل ، ما دمت أحمل الشريحة الإلكترونية معى ..

ابتسم (رشيد) وهو ينظر للشريحة الإلكترونية المستقرة فى راحة (عمر) ، قائلا فى زهو :

ـ كنت أعرف أن الأمر متعلق بهذه الشريحة الإلكترونية الدقيقة ..

بادله (عمر) الابتسام وهو يقول :

ـ لك ذكاء تستحق أن أهنئك عليه يا عزيزى ..

سأله (رشيد) مضيقًا عينيه :

ـ وهل اسمك الحقيقى هو (عمر زهران) ؟! لقد ذكرت هذا الاسم بنفسك منذ قليل !

اتسعت ابتسامة (عمر) وهو يجيب :

ـ أجل يا عزيزى ، لن أستطيع إخفاء الأمر عنك أكثر من هذا ..

سأله (رشيد) مرة أخرى :

ـ وكيف تستطيع الخروج بها إذن ؟!

ـ ومن قال إننى فى حاجة للخروج بها ..

ـ أتعنى ..

ـ هذا ما أعنيه يا صديقى ..

قالها (عمر) مشيرًا إلى الشاشة التى أخذت أيقونة (وصول رسالة إلكترونية عاجلة) تضىء وتنطفئ فى سرعة منغومة عليها ، وسارع (عمر) بالضغط فوقها ليظهر فوق الشاشة نصها المقتضب .

تم تأمين قناة القمر الصناعى السرية ..

ـ هكذا إذن !

هتف (رشيد) مكتشفًا ، بينما سارع (عمر) بتوصيل الشريحة إلى جهاز حاسبه الآلى قائلا :

ـ سأرسل بمحتوياتها عبر القمر الصناعى المصرى (نايل سات) مباشرة إلى مكتبنا فى (القاهرة) ولن يستغرق الأمر ـ على ضخامة كمّ المعلومات الموجودة على الشريحة ـ أكثر من بضع دقائق ، أستطيع أن ألقى الشريحة بعدها فى سلة المهملات بضمير مستريح !

ـ يا للذكاء !

ند الهتاف المفعم بالإعجاب عن (رشيد) لا إراديًا ، بينما أخذت أصابع (عمر) تعدو فوق الأزرار ، مع انعقاد حاجبيه رويدًا رويدًا وهو يضغط بسبّابته زر (إدخال) مرارًا وتكرارًا ، دون أن تستجيب الشريحة عارضة ما تحمله من معلومات !

ـ ما الأمر ؟!

ـ هناك خطأ ما ..

قالها (عمر) معاودًا ، معالجه الأمر باتخاذ كل الخطوات التمهيدية لتشغيل الشريحة من البداية ، وبالتأكد من أن الوصلات بينها وبين الحاسب الآلى

سليمة وموضوعة فى أماكنها المحدودة ، لكن العبارة التى أطلت عبر الشاشة أنهت الأمر تمامًا ..

Access Denied الدخول غير مسموح به

ـ اللعنة !

قالها (عمر) فى عصبية ، ثم أردف مشيرًا نحو الشريحة :

ـ لقد جربها (جون) اللعين بنفسه أمامى !

نظر (رشيد) نحو الشريحة ، وأمسكها بأصبعيه سائلاً :

ـ جربها ؟! ألأنت واثق من هذا ؟!

ـ وهل تظننى مخبولاً يهذى فى الطرقات ؟! أقول لك لقد رأيت بنفسى معلومات (الوحدة ٨٢٠٠) تتراص أمامى فوق الشاشة ..

أغمض (رشيد) عينيه متمتمًا :

ـ يا إلهى ! لقد كان (جون) هذا داهية بحق !

ـ ماذا تعنى بهذا أنت الآخر ؟!

قرب (رشيد) الشريحة الإلكترونية من عينى (عمر) قائلاً ، وهو يشير لجزء محدد عند طرفها :

ـ انظر هنا ..

نظر (عمر) إلى حيث يشير فى غباء ، فسارع (رشيد) بتفسير مقصده قائلاً :

ـ إن لها جزءًا مكملاً لا تعمل إلا فى وجوده ، يبدو أنه انتزعه قبل أن يعطيك إياها ! هذا الجزء مكانه ها هنا ..

قال (عمر) متذكرًا ما حدث فى مقهى الإنترنت :

ـ كلا ، يبدو أننى أنا الذى انتزعتها فى سرعة عند دخول (عزرا أهارون) ، فـ ... ودق بقبضته سطح المنضدة هاتفًا فى غضب :

ـ تبًا ! يا لغبائى ! لقد أفسدت كل شىء .. كل شىء !

قال (رشيد) محاولاً كبح جماح غضبه :

ـ ربما ما زال الجزء المكمل هناك فى مقهى الانترنت ؛ وربما ...

أكمل (عمر) كأنه ليث يزأر :

ـ وربما حصل عليه (عزرا أهارون) ، أو (مادلين تشايمر) أو أى شخص آخر .. وأمسك بالشريحة مردفًا :

ـ الحقيقة الوحيدة الآن هى أن هذه الشريحة الإلكترونية ـ بحالتها هذه . ليست أكثر أهمية من قطعة خردة مهملة ، إن لم تكن أقل .

ونظر نحو الشاشة ، والرسالة الإلكترونية التى أرسلها له خبراء التقنيات بـ (المكتب ١٧) .. إنهم ينتظرونه الآن على بعد آلاف الأميال ، وهو سيخلف ظنهم ..

لقد فشلت مهمته مرة أخرى ، حتى والشريحة الإلكترونية بين أصابعه ..

وهذا ما يملأ أعماقه حنقًا ، وسخطًا ، وغضبًا بلا حدود ..

★ ★ ★

(١٦)

عطس (عاموس) بشدة داخل السيارة الصغيرة الرابضة فى مرآب مطار (شارل ديجول) ، ثم تمخط فى منديل ورقى وضعه فوق أنفه الذى كسته البرودة احمرارًا ، وهو يغمغم لنفسه فى أسف :

ـ هذا ما كنت أخشاه ، إنه الزكام اللعين !

ـ جهازك المناعى لا يعمل كما ينبغى ، عزيزى (عاموس) ..

التفت (عاموس) فى سرعة نحو مصدر الصوت الذى جاءه من خارج النافذة المجاورة له ، ليرى (عزرا أهارون) واقفًا فى ثبات ، واضعًا يديه فى جيبى معطفه ، وقد ارتسمت على ملامحه أقصى أمارات الجدية ..

ـ أدون (أهارون) ! ألم يظهر هدفنا بعد ؟!

هتف (عاموس) ثم تمخط مرة أخرى فى منديله الورقى ، بينما أجابه (عزرا) فى رصانة :

- كلا ، وستقلع الطائرة بعد دقائق معدودة دون أن يكون على متنها (لبيب نور الدين) ، أو (عمر زهران) .. لا فارق !!

هز (عاموس) رأسه قائلاً كأنه يشرح الأمر لنفسه :

- أى أنها ستقلع بمقعده شاغرًا .. هذا متوقع على أية حال ..

ثم أشار إلى شاشة حاسبه الآلى النقال الموضوع على الكرسى المجاور له متابعًا :

- والنتيجة ذاتها أرسلها عميلنا فى مطار (أورلى) منذ ثوان ، الطائرة أقلعت بالفعل دون أن يركب على متنها (عمر زهران) !

- هذا الوغد يلاعبنا ، لكنى لن أسمح له إطلاقًا بمغادرة (باريس) ومعه الشريحة الإلكترونية ..

تردد (عاموس) قليلاً قبل أن يقول :

- لكن .. (أدون أهارون) .. إن ..

- ماذا يا (عاموس) ؟!

- كل ما أريد قوله هو أن (عمر زهران) لا يحتاج لمغادرة (باريس) ومعه الشريحة لتقع المعلومات المحملة عليها فى أيدى المصريين !

صمت (عزرا) للحظة ، قبل أن يقول مصوبًا بصره نحو قدميه :

- أعلم ما تود قوله يا (عاموس) ..

وحدق فى (عاموس) مفسرًا مقصده بقوله :

- أن تكون المعلومات قد وصلت المصريين الآن بالفعل !

- تمامًا ، أدون (أهارون) ..

هز (عزرا) كتفيه قائلاً فى حسم :

- إنه احتمال وارد على أية حال فى عصر شبكات الألياف الضوئية الفائقة السرعة والأقمار الصناعية ذات القنوات السرية المشفرة ، لكن المهمة لم تنته بعد ، وما دامت ..

قاطعه (عاموس) مشيرًا نحو شاشة حاسبه الآلى ثانية :

- كلا ، أدون (أهارون) ، لقد انتهت المهمة فعليًا !

عقد (عزرا) حاجبيه سائلاً فى استنكار :

- ماذا ؟!

تنحنح (عاموس) - كديدنه كلما اعتراه الحرج - قائلاً وهو يحاول انتقاء ألفاظ مناسبة :

- لقد أرسلت لنا قيادات الوحدة بهذه الرسالة منذ دقائق معدودة مصحوبة بهذه الأيقونة الزرقاء ..

فاض نهر من الحمم البركانية من عينى (عزرا أهارون) ، وهو يحدق كصنم فى الأيقونة الصغيرة التى برزت فوق الشاشة ..

أيقونة صغيرة زرقاء اللون ، يدرك أى رجل فى (الوحدة ٨٢٠٠) معناها المباشر ..

(عودا فورًا .. المهمة انتهت سلبيًا ..) ..

ولم يكن هذا يحمل سوى معنى واحد لا مرادف له ولا شك فيه بالنسبة إليهما ..

معنى لم يجربه (عزرا أهارون) من قبل ..

معنى أمر من العلقم ، وأقسى من جلد السياط ، وأحد من سيف بتار ..

الهزيمة ..

وباعتراف قيادات الوحدة أنفسهم ..

- اللعنة !

هتف بها (عزرا) فى ثورة ، وقد صدمه الشعور الجديد ، ولم يجد غيرها - فى حصيلته اللغوية - تعبيرًا مناسبًا فصمت وهو يركل حجرًا قريبًا بكل ما أوتى من قوة ، ثم وقف لاهثًا كمصارع رومانى هزمته الأسود ، وتكفل زمهرير الليل الباريسى لتحويل لهاثه إلى سحابات بخارية بيضاء ..

ولم تمض لحظة حتى أتاه هتاف (عاموس) :

- مهلاً ، (أدون أهارون) ، يبدو أن فى الأمر جديدًا ..

كغريق يود التعلق بقشة ، هرع نحوه (عزرا) ، وقد ماجت عيناه بلهفة عارمة ، سائلاً :

- ما هو ؟!

أشار (عـاموس) للمستطيل الذى احتل منتصف الشاشة قائلاً :

ـ أحدهم يطلب إلينا أن نحادثه عبر أحد برامج (المحادثة chatting) ..

ـ من ؟!

ـ لا أدرى ، البحث عن هويته قد يستغرق وقتًا ..

ـ اقبل طلبه على الفور ..

امتثل (عامـوس) لأمـره ضاغطًـا زر (قبـول المحادثة) ، وعلى الفور انقسمت الشاشة طوليًا إلـى نصفين ، ومضت ثوان بطيئـة قبل أن يظهر أى تغير على شاشة (المحادث) ، مما دعا (عاموس) لأن يقول :

ـ من يريد التحدث إلينا لن يستخدم أسلوب (الكتابة Typing) ، ستظهر صورته ها هنا عبر (كاميرا رقمية digital camera) يمتلكها ، وسيتحدث إلينا بنفسه بعد ثوان .. وما إن أتم عبارته ، حتى أطلت صورة (المحادث) عبر نصف الشاشة الخاص به ..

ـ مرحبًا يا رجال ، إنه أنا من جديد ..

كانت صورة (مـادلين تشـايمر) تطل عليهمـا فى وضوح ، فقطب (عزرا) سائلاً فى خشونة :

ـ ماذا تريد هذه المأفونة ؟!

لم تكن شاشة حاسب (عاموس) الآلى النقال مزودة بكاميرا رقمية لدواعـى أمنيـة ، ممـا دعـا (عـاموس) لأن يضغط أزرار لوحة المفاتيح سائلاً إياها عبر نـص كتابى نفس سؤال (عزرا) ، ولكن بصيغة أكثر تهذيبًا :

ـ ماذا تريدين ؟!

قـالت (مـادلين) وقـد قـرأت النـص المرسـل إليهـا بعينيها مجيبة :

ـ بلا مقدمات ، لدى فرصة أخيرة أعرضها عليكمـا لحيازة الشريحة الإلكترونية الخاصة بكم ..

كتب لها (عامـوس) سائلاً ، دون انتظـار تعليمـات من (عزرا) :

ـ كيف ؟!

رفعت بأصبعيها أمام الشاشة وهى تقول باسمة :

ـ عن طريق هذا !

وقبل أن يسألها (عاموس) كاتبًا ، سارعت بتوجيه (الزووم) نحو ما تمسكه بأصبعيها ، لتظهر تفاصيله أكثر وأكثر ، وهى تفسر بقولها :

ـ لقد عثرت على هذا الجزء المكمل بجوار جثة (جون ميشيل) ، وهو جزء حيوى للغاية لا تعمل الشريحة الإلكترونية دون وجوده ، أى أن صديقنا المصرى الآن فى مأزق حقيقى قاده إليه جهله التكنولوجى ، فالشريحة التى معه بلا قيمة ما دامت لا تعمل !

سألها (عاموس) عبر نص مكتوب :

ـ وكيف سنعثر على المصرى ؟!

ابتسمت مرة أخرى ، وقد وسعت كادر الكاميرا ليظهر وجهها ، وقالت فى نشوة الواثق :

ـ التكنولوجيا مرة أخرى يا أعزائى ، فعن طريق القمر الصناعى الفرنسى التابع لـ (تكنوتل) ، والذى

يمسح (باريس) خمس مرات فى اليوم ملتقطًا صورًا جوية غاية فى الوضوح والدقة والنقاء ، استطعت أن ألتقط صورة لهذا الموقع الذى يجلس فيه الآن بصحبة صديقه المغربى (رشيد) ..

تغيرت صورتها على الشاشة بأخرى لمنزل مربع يطل على نهر (السين) ، له حديقة أمامية واسعة ، تربض أمامها سيارة صغيرة فرنسية الصنع ..

ـ وكيف عرفت أن هذا بالذات هو المكان المنشود ؟!

قالت دون أن تظهر صورتها على الشاشة ، مشيرة بسهم نحو ما تتحدث بشأنه :

ـ المرسى أمام المنزل ، يرسو عنده منذ التاسعة تقريبًا يخت الصيد المسئول عنه (رشيد) ، مما يعنى

كونه (نقطة آمنة) ثابتة لـ (عمر زهران) ، ثم هذه السيارة الصغيرة التى ربضت أمام حديقة المنزل بعد ثلث ساعة تمامًا من مغادرته لنا فى (مقهى بارادى للإنترنت) ، وهو الوقت المناسب تمامًا للانتقال من المقهى إلى المنزل بحسبة زمنية بسيطة فى شوارع (باريس) التى أغرقها المطر ..

كتب (عاموس) لها فى سرعة :

ـ وماذا عن ..

وقبل أن يكمل عبارته المكتوبة ، أطلت (مادلين) على نصف الشاشة الخاص بها ، مقاطعة إياه فى حزم :

ـ دعنا لا نضيع مزيدًا من الوقت فى مهاترات لا فائدة من ورائها ، سألتقى بكما بعد عشر دقائق على مسافة مائة متر جنوب المنزل ، لنستعد للهجوم الأخير ..

وأضافت فى مزيد من الحزم :

ـ ولو نجحنا فى تلقين المصرى درسًا لا ينساه طوال حياته الباقية ، إن بقى فيها شىء ، فالشريحة الإلكترونية وجزؤها المكمل هديتان منى (للوحدة ٨٢٠٠) ، وأنا دومًا أعنى ما أقول ..

واختفت صورتها من فوق الشاشة ، تاركة (عزرا) و (عاموس) يستعدان للهجوم .. الأخير ..

★ ★ ★

(١٧)

> ننصحك بالعودة على الفور ، فربما يجد خبراؤنا حلاً للمشكلة التقنية التى تواجهها ..
>
> المخلصون ؟

ـ أى أن نجاح المهمة ما زال مرهونًا بقدرتى على العودة من (باريس) ، يا للحظ العاثر !

تمتم بها (عمر) لنفسه وهو يطالع بعينيه الرسالة الإلكترونية التى جاءته من (المكتب ١٧) بـ (القاهرة) منذ ثوان ، ثم التفت إلى (رشيد) سائلاً إياه فى خيبة أمل :

ـ هل رأيت من هو أغبى منى على ظهر الكرة الأرضية يا صديقى ؟!

قال (رشيد) مهونًا الأمر عليه قليلاً :

ـ لا تلومن نفسك بهذا الشكل ، أى إنسان قد يقع فى مثل هذه الأخطاء الصغيرة !

ـ لكنها أخطاء قد تؤدى لنهايات عظيمة ، فى حال

لو أخفق الخبراء لدينا مثلاً فى إيجاد حل لتشغيل الشريحة ..

ربت (رشيد) على كتفه قائلاً :

ـ يكفيك فخرًا أن تمنعهم من الحصول عليها !

صمت (عمر) قليلاً متأملاً فى العبارة ، ثم غمغم ساهمًا فى المجهول :

ـ حقًّا ؟!

ـ مشكلتك الحقيقية الآن هى فى قدرتك على مغادرة (باريس) فى ظل ما يحدق بك من أخطار ..

ـ لدى ثلاث خطط مختلفة تمكننى من ..

قاطعه (رشيد) مشيرًا بسبابته :

ـ هذا لو تصورنا أن (عزرا أهارون) أو (مادلين تشايمر) سيقفان فى انتظار تحركاتك !

نهض (عمر) سائلاً فى اهتمام ، وهو يتجه نحو النافذة المطلة على الحديقة الخارجية :

ـ ماذا تعنى يا (رشيد) ؟!

هز (رشيد) كتفيه ، ثم استطرد قائلاً :

ـ فى نطاق معلوماتى المحدودة عن قدراتهما اللامحدودة ، فلا أستبعد أبدًا أن يكونا قد توصلا لموقعنا الذى نجلس فيه أنا وأنت الآن ، بل وربما قد تمكنا من تحديده بدقة تمكنهم من الهجوم علينا فى أى وقت يبتغونه ، وربما يكونان فى الطريق إلينا بالفعل يا صديقى المصرى !

ـ كلا يا صديقى ، إنهما ليس فى الطريق إلينا الآن !

قالها (عمر) وهو يحدق فى نقطة ما عند السور الخارجى المحيط بحديقة المنزل ، وقبل أن يسأله (رشيد) عما يعنى أسرع يضيف :

ـ لقد وصلا بالفعل !

هرع (رشيد) إليه ليقف خلفه ناظرًا لنفس النقطة عند السور الخارجى ، التى توقفت بحذائها سيارة ضخمة من سيارات إطارات الدفع الرباعى ، ليغادرها أربعة رجال ضخام الجثث إلى حد مذهل ، كأنهم بعثوا من عصور الديناصورات المنقرضة ..

كان (عمر) قد رآهم منذ ساعات قليلة ، يقفون خلف (مادلين تشايمر) ، داخل (مقهى بارادى للإنترنت) ، وما زالت ذاكرته تحتفظ بأشكالهم جيدًا ..

ـ رباه .. إن (مادلين تشايمر) ، معهم بنفسها !

هتف بها (رشيد) إذ رأى رجلاً منهم يدفع أمامه كرسيًا حديثًا من كراسى المقعدين ، تجلس فوقه فتاة شقراء ، بيضاء إلى حد مستفز ..

ـ هيا بنا يا صديقى ، إلى النهر فورًا ..

وبسرعة مهولة لملم (عمر) حاجاته المتناثرة ، ثم قبض على الشريحة الإلكترونية الدقيقة هارعًا خلف (رشيد) إلى باب المنزل الخلفى الذى يفضى إلى المرسى ، فى نفس اللحظة التى كان فيها أحد رجال (مادلين) يصوب مدفعه الرشاش نحو رتاج البوابة الخارجية الحديث ، مطلقًا نحوه بضع رصاصات أتلفته تمامًا ، قبل أن يدفعه رجل آخر من رجالها بقدمه فينفتح على مصراعيه ، وتشير (مادلين) بيدها نحو المنزل هاتفة بهم :

ـ هيا ، أريد كل من بالداخل أحياء يرزقون !

وعند المرسى ، كان (رشيد) و (عمر) يعدوان بأقصى ما فيهما من سرعة ، والأول يشير نحو قارب بخارى صغير يرسو بجوار يخت الصيد هاتفًا من بين لهاثه :

ـ سنستقل هذا ، فيخت الصيد سيكون فريسة سهلة بالنسبة لهم !

لم يكن (عمر) فى انتظار إرشاد كهذا بطبيعة الحال ، فقفز إلى القارب جاذبًا (رشيد) من معصمه خلفه ، وأسرع (عمر) إلى عجلة القيادة الأمامية بينما تولى (رشيد) تشغيل المحرك الخلفى جاذبًا سلكه أكثر من مرة ، دون أن يستجيب !

ـ ماذا هناك ؟!

هتف به (عمر) فى عصبية ، فأجابه (رشيد) فى جزع :

ـ لا أدرى لِمَ لا يعمل ، برغم أنه صناعة أمريكية ؟!

فى الداخل ، كان الرجال الأربعة يقتحمون باب المنزل الخارجى بنفس الطريقة ، ومضت ثوان معدودة قبل أن يتأكدوا أنه خال تمامًا من البشر كقلب ميت ، فالتفت أحدهم نحو المدخل ليرى (مادلين تشايمر) فوق مقعدها المتحرك سائلة :

ـ ألم تعثروا على أحد ؟!

قال لها الملتفت فى احترام :

ـ كلا يا مدموازيل ..

أدهشته ابتسامتها التى ارتسمت فجأة ، وهى تغمغم قائلة فى حبور :

ـ كما توقعت تمامًا ، سيفرّ عن طريق النهر ..

صمت الأربعة فى انتظار أن تصدر إليهم أمـرًا جديدًا ، لكن أحدهم سألها عندما وجد صمتها قد طال :

ـ هل نلاحقه إلى هناك يا مدموازيل ؟!

وانتهى سؤاله بصوت محرك بخـارى يدور ، قـادم من ناحية المرسى ، فاتسعت ابتسامة (مـادلين) أكثر وهى تقول فى سرور لا يناسب الموقف إطلاقًا :

ـ ألم أقل لكم ؟!

ثم إنها هزت كتفيها قائلة :

ـ لقد اتخذنا احتياطنا على أية حال !

كان (رشـيد) يقول لـ (عمر) وقتها ، والقـارب البخارى يبتعد بهما عن المرسى فى سرعة :

ـ حمدًا للّه ، لم يخذلنا المحرك طويلاً ..

عقد (عمر) حاجبيه ، ثم قال فى ريبة وهو يوجـه دفة القارب بأقصى اليسار :

ـ فى الأمر شىء لا أطمئن له يا (رشيد) ..

ـ ما هو ؟!

ـ لماذا لـم يهاجمنـا رجـال (مـادلين) ، وقد كـان الوقت أمامهم سانحًا تمامًا ؟!

وقبل أن يجيبه (رشيد) ، التفت كلاهما للخلف ، على صوت زئير محرك عال ، وبرغم الظلام المخيم على المياه من حولهما ، إلا أنهما استطاعا رؤية كنـه ذلك الشىء المقترب منها فى سرعة أكبر من سرعة قاربهما بكثير ..

كـان عبارة عن دراجة تزحلـق مـائى ، يقودهـا (عـاموس) وخلفـه (عـزرا) متشـبث بـه جيـدًا ، وممسك فى يده بمسدس يلمع لونـه الفضـى فى قلب الظلام ..

ـ إنه ..

وقبل أن يكمل (رشيد) هتافه الذى اتسعت لـه عينـاه جزعًا ، انطلقت رصاصات مسدس (عـزرا) نحوهما لتصيب جسم القارب وزجاج واجهته الأماميـة ، وليهتف هذا الأخير فى غضب بـ (عاموس) :

ـ قد جيدًا أيها الوغد ، إنك تمنعنى من التصويب السليم ..

زاد (عاموس) ، من سرعة دراجة التزحلق لتتقارب المسافة بينهما ، وبين القارب إلى حد مفزع ، هاتفًا بصوت أرهقه الزكام :

ـ تستطيع القفز إليهما الآن ، أدون (أهارون) ..

راقت الفكرة لـ (عزرا) ، لكنه قبل أن يشرع فى تنفيذها ، أدار (عمر) دفة قاربه للاتجاه المعاكس تمامًا ، مضللاً الدراجة التى يقودها (عاموس) ، ليربت (رشيد) على كتفه قائلاً :

ـ مناورة بارعة حقًا يا صديقى ..

وليهتف (عزرا) فى سخط :

ـ خلفهما أيها الغبى ..

ولتغمغم (مادلين) التى تراقب الموقف عند المرسى من خلال منظار معظم ، وقد وقف خلفها رجالها كسدود بشرية منيعة :

ـ يا للمهارة !

دار (عاموس) بدراجته المائية حول نفسه دورة



كان عبارة عن دراجة تزحلق مائى ، يقودها (عاموس) وخلفه (عزرا) متشبث به جيدًا .

كاملة ليواصل مطاردة القارب البخارى الذى انطلق بسرعته القصوى فى مياه (السين) ، و (عزرا) يهتف به :

ـ اقترب منهما قدر استطاعتك ، وكن حذرًا لأى خدعة جديدة .

ـ ليكن ، أدون (أهارون) ستقفز وسأنتظرك عند الضفة حتى لا نلفت لنا الأنظار أكثر من هذا ..

ـ ما زالوا خلفنا يا صديقى ..

قالها (رشيد) مراقبًا اقتراب الدراجة المائية خلفهما تدريجيًا ، فسأله (عمر) وهو يسيطر على المقود بكل قوته :

ـ ما رأيك لو قفزنا فى المياه الآن ؟!

سأله (رشيد) رافعًا حاجبيه :

ـ فى هذا الزمهرير ؟! ستكون المياه مثلجة حقًّا ..

ـ ربما كان هذا هو الحل الأخير ..

ـ وهل سيتركوننا ؟ سيطاردوننا عبر المياه يا صديقى ..

أتى من خلفهما .. داخل القارب .. صوت ارتطام ، وبمجرد التفاتهما لرؤية مصدره ، اخترقت مسامعهما عبارة بصوت يعرفه (عمر) جيدًا ، ولنقل إنه لم ينسه بعد ساعات قليلة من لقاء مقهى الإنترنت ..

ـ ها نحن أولاء نلتقى ثانية يا عزيزى !

كان (عزرا) يقف فى مؤخرة القارب مصوبًا نحوهما مسدسه الفضى اللامع ، وبسمته المعهودة التى تمتزج فيها الشماتة بالسخرية تطل عليهما عبر شفتيه الرفيعتين ..

توقف القارب بالثلاثة فى عرض (السين) ، وهتفت (مادلين) لنفسها وهى تشاهد ما يجرى عن بعد :

ـ اهزمه يا (أهارون) .. هيا ..

قال (عمر) ـ رافعًا يديه بجوار (رشيد) ـ فى لهجة هادئة ، رامقًا مسدس (عذرا) المصوب نحوهما :

ـ رائع ، أدون (أهارون) .. يبدو أنك مازلت مصرًا على الاحتفاظ بسجلك نظيفًا ..

هز (عزرا) كتفيه قائلاً فى عنجهية :

ـ لن يهزمنى فأر صغير مثلك على أية حال ..

هز (عمر) هو الآخر كتفيه ، مقلدًا إياه ، وهو يقول :

ـ لنعقد اتفاقًا فيما بيننا إذن ..

ساخرًا قال (عزرا) :

ـ اتفاق ؟! لن يكون بيننا اتفاقات من أى نوع يا صغيرى ، كل ما أنا بصدد فعله الآن هو قتلكما شر قتلة ، واستخراج الشريحة الإلكترونية الدقيقة التى تخصنا من رفاتكما !

وضع (عمر) يده فى جيب معطفه قائلاً :

ـ ولِمَ ؟! يمكننى إعطاؤك إياها على الفور دون إراقة دماء ..

تحفزت أصابع (عزرا) القابضة على المسدس ، وهو يقول فى صرامة :

ـ أخرج يدك من جيب معطفك أيها المصرى ، وكفاك حيلاً قديمة ..

أخرج (عمر) يده الممسكة بالشريحة الإلكترونية فعلاً ، وهو يقول مرتديًا قناع البراءة :

ـ أى حيل تقصد ؟! إننى أفتدى حياتى وحياة صديقى بما لا أحتاجه !

قال (عزرا) فى شراسة :

ـ هذا لن يمنعنى من قتلكما أبدًا !

هز (عمر) كتفيه ، وقال ملقيًا بالشريحة الإلكترونية نحوه فى الهواء :

ـ دع هذه المسألة لضميرك ، يحكم فيها فيما بعد !

وبطريقة لا إرادية ، تابعت عينا (عزرا) الشريحة التى ألقاها (عمر) نحوه لثانية أو أزيد ، قبل أن يفطن لخدعة هذا الأخير ، ولكن بعد فوات الأوان !

فهذه الثانية كانت كافية تمامًا ، لأن يستل (عمر) سلاحه من داخل معطفه ، ويصوبه نحو (عزرا) مطلقًا رصاصة نحو يده الممسكة بالمسدس ، فيسقط منه على متن القارب ، ويتغير المشهد كلية !

ـ يا للهول !

هتفت بها (مادلين) وهى ترى ما يحدث ، لكنها لم تكن أبدًا على طريقة (يوسف بك وهبى) ، إذ نطقتها بالفرنسية !

سقطت الشريحة الإلكترونية على حافة القارب من ناحية المؤخرة ، غير بعيدة عن (عزرا) الذى شعر بأنفاس جهنم تلفح وجهه على الرغم من برودة الجو المحيط به ، فرمق (عمر) بنظرة لها ألف معنى وهو يقول من بين أسنانه ، محاولاً كظم غيظه قدر استطاعته :

ـ لقد خدعتنى مرة أخرى أيها المصرى ..

قال (عمر) باسمًا فى ثقة :

ـ الحرب خدعة ، أدون (أهارون) ..

ـ لكنك لن تقتلنى ، أعلم ترفعكم بشأن قتل العزل !

ـ برغم أنكم لم ترحموهم فى (سيناء) إبان حرب (يونيو) ١٩٦٧ ، لكننا سنبقى دومًا أهل الشمم والترفع عن الإساءة ..

والتفت إلى (رشيد) قائلاً :

ـ قم بتقييده يا صديقى وسنسلمه للسلطات الفرنسية كمسئول عما حدث من اضطرابات ليلية فى هذه البقعة ..

هز (رشيد) رأسه بالإيجاب ، واتجه من فوره يجلب حبلاً سميكًا ، شرع فى تقييد (عزرا أهارون) به ..

ـ سينتصر المصرى !!

قالتها (مادلين) بلا شعور وهى تتابع تطورات الموقف السائرة فى صالح (عمر) ، لكنها فى الثانية التالية ، بدأت تغير رأيها نوعًا ، وهى ترى بمنظارها ما دار هناك ..

فبمجرد شروع (رشيد) فى تقييد (عزرا) ، قام هذا الأخير بمراوغة ماهرة ، جذب فيها ساعد (رشيد) إليه ، ثم دفعه نحو (عمر) فى قوة ، ليسقط فى يده ، ثم يسقط أسفل (رشيد) على متن القارب ، بينما يقبض (عزرا) على الشريحة الساقطة بجواره ، ويتجه نحو مسدسه الملقى بعيدًا عنه إلى حد ما ..

ولكنه قبل أن يمسك بالمسدس ، انقض عليه (عمر) من الخلف دافعًا إياه بعيدًا ، ثم انقض عليه مرة أخرى مشتبكًا معه بصراع أيدٍ عارية ، بينما فقد (رشيد) وعيه عندما اصطدمت رأسه بحافة القارب المعدنية إثر سقوطه فوق (عمر) !

لم ينقل المنظار المعظم كل التفاصيل لعينى (مادلين) ، فعضت شفتيها هاتفة لنفسها فى حنق بالغ :

ـ اللعنة ! ماذا يجرى هناك ؟!

كانت أصابع (عزرا) تقبض على الشريحة فى استماتة، وهو يقاوم ضغط ساعدى (عمر) فوق ساعديه، حتى بدوا أشبه بمصارعين مشتبكين فوق حلبة مصارعة ..

ثم نجح (عزرا) فى دفعه بعيدًا عنه بركلة من قدمه، وتحامل على نفسه ناهضًا وهو يلهث، مستندًا بمرفقيه على حافة القارب، عندما فوجىء بـ (عمر) - الذى لاييئس أبدًا - يهاجمه مطوقًا صدره بذراعيه من الخلف، معتصرًا إياه فى غير هوادة ..

صرخ (عزرا) فى ألم، وزاد (عمر) من شدة الضغط، حتى نجح الأول فى الإفلات بعد جهد جهيد، ليتواجها مرة أخرى، و (عمر) يمسك بمعصم (عزرا) القابضة يده على الشريحة محاولاً فك حصار أصابعه عنها ..

وجه له (عزرا) عدة لكمات فى وجهه وصدره بيده الطليقة، لكنها لم تفت من عضده، وأخذ يدق ساعد (عزرا) فى حافة القارب، والأخير تتزايد صرخاته المتألمة، حتى انفكت أصابعه عن الشريحة الإلكترونية فى النهاية، ولكن لتسقط منها فى أعماق مياه (السين) الباردة !

- الشريحة الإلكترونية !

ند الهتاف مفعمًا بالجزع من شفتى (مادلين)، وهى ترى ما ترى، بينما تابعت عيون الغريمين الشريحة وهى تغوص رويدًا رويدًا فى قاع النهر المظلم، وقد انفكت أيديهما عن بعضهما، بعد مازال السبب الأساسى لصراعهما ..

ومرت ثوان مظلمة كليل، باردة كجبل من الجليد. تبادل بعدها الغريمان نظرات ماجت بمشاعر كل منهما تجاه الآخر، قبل أن يقول (عمر) فى ثبات :

- سنلتقى ثانية، أدون (أهارون)، ولتستعد وقتها لهزيمة منكرة ..

ولم يعطه فرصة الرد، وسارع بالقفز لتبتلعه مياه (السين) هو الآخر، وبكل مقت الدنيا سارع (عزرا) بالتقاط مسدسه، مطلقًا فى مركز الدائرة الواسعة التى أحدثها سقوط (عمر) فى الماء رصاصات كثيرة لم ينته منها إلا بعد ما فرغ خزان الرصاصات لديه، ثم أرسل بصره نحو مياه (السين) الممتدة أمامه كرداء أسود لامع، مغمغمًا فى كراهية لم يشعر بها من قبل :

ـ فى المرة القادمة سيكون مصرعك بيدى هاتين أيها المصرى !

ودفن مسدسه فى ملابسه ، مضيفًا :

ـ لتك واثقًا من هذا تمام الثقة !

وعند المرسى ، خفضت (مادلين تشايمر) منظارها المعظم ، ناظرة إلى الجزء المكمل للشريحة ، المستقر على راحتها ، مغمغمة لنفسها فى هدوء لم تعرف له مصدرًا :

ـ هل هى النهاية حقا ؟!

★ ★ ★

(١٨)

أشرقت شمس الصباح ملقية بنورها الدفىء الذى تسلل عبر خصاص نافذة رئيس (المكتب ١٧) ، اللواء (عفت حفنى) ، الجالس إلى مكتبه يتابع على شاشة حاسبه الآلى بيانات ما ، لتعلن ميلاد نهار آخر ، من نهارات (القاهرة) المائجة بالحيوية والسخونة ..

ـ إذن ، فقد باءت المهمة بنصف نجاح ونصف فشل ، عميد (حرب) ..

اعتدل العميد (منصور حرب) فى جلسته أمام مكتب اللواء ، قبل أن يتنحنح قائلاً :

ـ يمكننا اعتبارها ناجحة ، سيدى اللواء ، لو لم ننس أنها مهمة (عمر) الأولى !

تراجع اللواء بمقعده قائلاً وعلى شفتيه ابتسامة ذات مغزى :

ـ لكننا لم نحصل على الشريحة الإلكترونية ..

قال (منصور) فى سرعة متخذًا موقع المدافع :

ـ ولم يحصل عليها خصومنا أيضًا يا سيدى ، وهذا فى حد ذاته كافٍ للغاية لنعتبر النتيجة مبشرة حقًا ، ثم إنه أذاق (عزرا أهارون) أول هزيمة حقيقية فى حياته !

ـ والنقطة الآمنة التى انكشفت لدينا !

ـ هذا وارد حدوثه فى أى عملية يا سيدى ..

اتسعت ابتسامة اللواء (حفنى) ، وقال خالعًا عويناته عن عينيه المرهقتين :

ـ إنك تدافع عن تلميذك بحرارة ، عميد (حرب) !

صمت العميد (منصور) هنيهة حدق فيها فى المجهول ، قبل أن يقول فى تأثر :

ـ أنت تعلم يا سيدى أننى راهنت على هذا الفتى بعمرى ، وهو رهان قد يستحق منى الموت فى سبيل ربحه !

هز اللواء (حفنى) رأسه متفهمًا ، قبل أن يقول :

ـ أعلم هذا يا (منصور) .. ولكن خبرنى ، أمازال فتاك هذا فى (باريس) ؟!

ـ أجل سيدى ، إنه ما زال هناك متخفيًا فى هوية فرنسية مزيفة ..

ـ هذا حسن ، فقد قررت أن نوكل إليه مهمة جديدة !

غمرت السعادة ملامح (منصور) ، وهو يهتف متهلل الأسارير :

ـ حقًا ، سيدى اللواء ؟!

هز اللواء رأسه بالإيجاب ، وقال فى لهجة عملية لا تشوبها شبهة مجاملة :

ـ حقًا أيها العميد ، لقد راقبت بنفسى ـ وباهتمام قلما يتوافر فى شخصى الملول ـ أداءه خلال العملية ، وأرى أنه يستحق فرصة أخرى يثبت فيها جدارته واستحقاقه ، وتثبت فيها أنت مكسبك الحقيقى لرهان العمر ..

ولاحت بسمة شاحبة على وجهه وهو يضيف :

ـ وكخبير أمنى أفنى حياته فى هذا المضمار ، أستطيع أن أهنئك مبدئيًا على مكسبك أيها العميد .. وعلى مكسبنا نحن أيضًا لفتى فى حماس ومهارات (عمر زهران) ..

قال (منصور) فى مزيج من النشوة والخجل :

ـ أشكرك بشدة ، سيدى اللواء ..

ـ لا مجال للشكر فى العمل ، عميد (حرب) ..

ـ وهل سـيتولى عميل آخر لنـا مهمـة الشـريحة الإلكترونية ؟!

ـ كلا ، عميد (حرب) ، سندرج ملف العملية فـى قائمة المهام المؤجلة حتى إشـعار آخـر ، فبعد وقـوع الشريحة الإلكترونية فى الميـاه ، أصبـح البحـث عنهـا فى حكم المستحيل ..

ـ أستطيع فهم هذا ، سيدى اللواء ..

التفت اللواء (حفنى) إلى حاسبه الآلى قائلاً :

ـ إليك الآن تفاصيل المهمة الجديدة التـى ستتولى إبلاغه إياها بنفسك ..

وأضاف قائلاً فى شىء من الشرود :

ـ وسننتظر معجزة ما تكشف لنا إذا ما كانت الشريحة الإلكترونية فى متناول يد ما ، أو أنها ضاعت فى أعمـاق (السين) للأبد !

★ ★ ★

(١٩)

ـ (آن) .. (آن) ..

أطلت الفرنسية الحسناء من خلف باب المطبخ إثـر نداء زوجها لها ، وهى تهتف له بنبرة عالية :

ـ هل عدت يا (فيليب) ؟!

صفق (فيليب) باب المنزل خلفه ، وهو يقول :

ـ أجل يا حبيبتى .. مـن حقـى الرجـوع مبكرًا فـى يوم عطلتى على ما أظن !

استندت (آن) بكتفهـا علـى حافـة بـاب المطبـخ ، وهى ترمق زوجها الـذى يرتـدى ملابس متواضعـة ، وقبعـة رثـة مـن القمـاش ، ويمسـك فـى إحـدى يديـه بصنارة صيد طويلة ، وفى الأخرى بمقطف تفوح من داخله رائحة أسماك نيئة ، قائلة وهى تبتسم :

ـ رحلة صيد موفقة على ما يبدو ..

اقترب منها قائلاً فى فخر :

ـ لقد جلبت لك طنًا من أسماك (السين) العملاقة !

ألقت بنظرة على الأسماك التى ما زال بعضها ينتفض داخل المقطف ، وأشارت إليها قائلة :

ـ هل تسمى هذه المخلوقات الميكروسكوبية أسماكًا ؟!

قال متوددًا وهو يقترب منها أكثر :

ـ عندى أمل عظيم فى أن تتحول إلى عشاء شهى بيدى زوجتى الماهرة ، لنتناوله سويًا الليلة على ضوء الشموع !

تظاهرت بالتفكير قليلاً ، ثم قالت متناولة المقطف منه :

ـ لا يسعنى إلا الموافقة مادمت ستساعدنى فى تنظيفها ..

قال رافعًا حاجبيه ، مشيرًا إلى صدره بإبهامه :

ـ ماذا تقولين ؟! أنا أنظف أسماكًا ؟! المهندس العبقرى الفذ (فيليب ألبير) ، أحد أكبر مهندسى التقنيات فى (فرنسا) كلها يقف لينظف أسماكًا فى المطبخ ؟!

لكزته فى كتفه مازحة وهى تقول :

ـ ستنظفها بطريقة علمية على الأقل !

ضحك ضحكة عالية ، ثم قال وهو يسند صنارته بجوار الحائط :

ـ دعينى آخذ حمامًا ساخنًا أولاً ، لزوم الانتعاش !

رفعت سبابتها محذرة ، وهى تقول :

ـ إياك والتفكير فى الهرب أو التهرب ، سأنتظرك فى غضون ربع ساعة ..

وأنهت عبارتها وقد دخلت المطبخ ثانية ، فتبعها (فيليب) سائلاً :

ـ خبرينى أولاً ، ألم يهاتفنى أحد أو يرسل لى بريدًا إلكترونيًا ؟!

هزت رأسها نفيًا وهى تجيب :

ـ كلا ، لا أحد ..

اتجه نحو المبرد ليلتقط من داخله زجاجة مياه ، وسألها مرة أخرى قبل أن يرفعها نحو شفتيه :

ـ ولا من (تكنوتل) ؟!

هزت كتفيها ، قائلة وهى تلتقط إحدى السمكات :

ـ لن يتوقف العمل هناك بدونك على ما أعتقد !

جرع القليل من الماء ، ثم مسح شفتيه بكمه قبل أن يعيد الزجاجة إلى المبرد قائلاً :

ـ لماذا تخسف الزوجات بقدر أزواجهن الأرض دائمًا ؟!

ثم إنه التفت إليها ، ليهتف فى أداء مسرحى مبالغ فيه :

ـ يا إلهى .. ماذا أرى ؟! لقد بدأت فى تنظيفها بالفعل ..

قالت دون أن تلتفت نحوه ، وهى تشق بطن السمكة الأولى :

ـ ومن سينتظر زوجًا كسولاً مثلك ؟!

ثم إنها رفعت يدها ممسكة بشىء ما ، متابعة وهى تمط شفتيها :

ـ انظر ماذا وجدت فى السمكة رقم واحد !

اقترب منها سائلاً ، وقد انعقد حاجباه :

ـ ما هذا ؟!

والتقط من يدها ذلك الشىء بأصبعيه السبابة والإبهام ، وحاجباه ينعقدان أكثر ، بينما قالت (آن) فى بساطة :

ـ يا للتلوث البيئة ! حتى الأسماك فى القيعان تأكل أشياءً فى منتهى الغرابة !

والتقطت سمكة أخرى لتنظفها ، بينما قرب (فيليب) الشىء من عينيه ليراه فى وضوح ..

وبحكم خبرته كمهندس تقنيات ، عرف على الفور ماهية ذلك الشىء المتناهى فى الصغر ، الذى يقارب حجمه عقلة الإصبع ..

إنه ليس إلا شريحة إلكترونية ..

شريحة وقعت فى مياه (السين) الليلة الماضية لتلتهمها سمكة مسكينة علقت فى طعم صنارته اليوم ..

وانعقد حاجباه أكثر .. وأكثر .. وأكثر ..

★ ★ ★

[تمت بحمد اللّه]